وريثة السّرِّ

رواية

د. أسماء غريب

وريثة السِّرِّ

رواية

٢٠٢١م

٨١٣/٩٢
غ/ ٤٩٢ غريب ، أسماء
وريثة السر / رواية
د. أسماء غريب
العراق/ بابل: دار الفرات للثقافة والاعلام، ٢٠٢١م
ali.abas505@yahoo.com /07707311570
(١٠٨ ص) ٢٢سم x ١٥سم
١- الروايات العربية .
م/ و
٢٠٢١ /٢٦٦٢
المكتبة الوطنية/ الفهرسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٦٦٢) لسنة ٢٠٢١م

وريثة السرّ / رواية
د. أسماء غريب
الطباعة: دار الفرات للثقافة والإعلام - العراق - بابل
بالاشتراك مع دار سما للطبع والنشر والتوزيع
١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م
Al-Furat House for Education and Information
Iraq – Babylon

لوحة الغلاف من إنجاز د. أسماء غريب

(قُل لَّوْ شَاء اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ)

سورة يونس: الآية ١٦

(١)

سجينُ الجِنِّ

بانارموس في: ٠١ كانون الثاني ٢٠٢١

السيّدة ريتاج الأَسيليّ	**إلى السيّد ذو الفقار الأسديّ**
حيّ الغُصن الذهبيّ	**حيّ الجمّار الماسيّ**
ولاية بانارموس	**ولاية بابل**
إيطاليا	**العراق**

الموضوع: طلب إرسال نُسَخ متنوّعة من الإصدارات الجديدة

سلامُ اللهِ على المغمُوسين في كوثر الجمالِ والبهاء، أهلي ببابل الفيحاء. أكتبُ اليوم إليكَ أيّها السيّد المفضال الجليل ذو الفقار الأسديّ، مدير دار العوسج الكَهْرمانيّ وقد مرّ عام كاملٌ على إصداراتي الجديدة، وذلك لأطلب من جنابكَ الكريم أن تُرسلَ بضع نُسَخٍ من كلّ إصدار على حدة، سواء تعلّق الأمرُ بالرّواية أو الشِّعر أو النّقد أو التّرجمة. ولـيكُنِ الإرسالُ كالعادة عن طريق مكتب الشّحن الدّوليّ السّريع.

وإلى أن يصلني ردُّك الكريم، تقبّل أسمى آيات التحيّة والتقدير والاحترام.

د. ريتاج الأسيليّ

إيطاليا

بابل في: ٠١ كانون الثاني ٢٠٢١

تحيّة التّقدير والاحترام لكِ أيّتها الأديبة والمُترجمة والنّاقدة الفاضلة د. ريتاج الأسيليّ، توصّلنا بطلبكِ الرّقميّ، وسَنُلبّي ماجاء فيه على الرّحب والسّعة.

سنتصّلُ بمكتب الشّحن الدّولي، وفي غضون أيّام قليلة ستكون عندكِ إصداراتُكِ الجديدة. مباركةٌ كلّ أعمالكِ، وكلّ عام وأنتِ بخير وإبداع وعطاء وألق.

ذو الفقار الأسديّ

العراق

بانارموس في: ١٥ كانون الثاني ٢٠٢١

السيّدة ريتاج الأَسيليّ	**إلى السيّد ذو الفقار الأسديّ**
حيّ الغُصن الذهبيّ	**حيّ الجمّار الماسيّ**
ولاية بانارموس	**ولاية بابل**
إيطاليا	**العراق**

الموضوع: استفسار عن سبب تأخُّر وصول شحنة الكُتُب

السيّد الفاضل الجليل ذو الفقار الأسديّ،
تحيّة طيّبة وبعد،
منذ أنْ وصلتني منكَ نسخة رقميّة عن إيصالِ إرسالكَ للكُتب، لم تظهر على موقع مكتب الشّحن الدّوليّ أيّة علامة تثبتُ خروجَ الإصدارات من العراق، بل حتّى رقم الإرساليّة لا يظهر في محرّك البحث الخاصّ بترصّد حركات الشّحنة عبر المطارات الدّوليّة. أعتقد أنّ الشّحنةَ مازالت هناك في بغداد، وليتكَ تستفسرُ عن الأمر، ولكَ جزيل الشّكر والامتنان.

د. ريتاج الأسيليّ
إيطاليا

بابل في: ١٥ كانون الثاني ٢٠٢١

السيّدة والأديبة الفاضلة د. ريتاج الأسيليّ، سلام التقدير والاحترام لكِ من بابل الحضارات والأصالة والعلوم. نأسف أوّلاً على التّأخير الحاصل، والّذي حدثَ ولا شكَّ بسببِ هذا الوباء الكورونيّ الّذي ضربَ الأرض والعباد في العالم بأسره، ولعلّ من الأشياء المزعجة التي ترتّبتْ عنه أيضاً؛ كثرة الإجراءات التي تتعرقلُ بموجبِهَا تحرّكات الإرساليّات في المطارات وفي مكاتب الشّحن. الأمر مجرّد تأخير روتينيّ وقريباً تصلكِ الكتُب بإذن الحيّ القيّوم، هذا ما قاله مدير مكتب الشّحن هنا في العراق.

ذو الفقار الأسديّ
دار العوسج الكهرمانيّ
العراق

بابل في: ٣٠ كانون الثاني ٢٠٢١

السيّدة الفاضلة الجليلة د. ريتاج الأسيليّ، يقول مكتبُ الشّحنِ عندنا إنّ الكُتُبَ قد دخلتْ إلى روما، فهل استلمتِها؟. نرجو من العليّ القدير أن تكوني بخير، وإنّنا في قلقٍ عظيم على ما يمرّ بالإنسانيّة من محنة كبيرة، بسبب هذا الوباء، يقولون إنّ إيطاليا أصبحت منطقة حمراء والأسفار منها وإليها متوقّفة الآن. عسى أن يجعل الله خيراً في كلّ هذا وينظرَ إلى العالم بعين اللّطف والرّحمة.

ذو الفقار الأسديّ
دار العوسج الكهرمانيّ
العراق

بانارموس في: ٠١ شباط ٢٠٢١

السيّدة ريتاج الأَسيليّ	**إلى السيّد ذو الفقار الأسديّ**
حيّ الغُصن الذهبيّ	**حيّ الجمّار الماسيّ**
ولاية بانارموس	**ولاية بابل**
إيطاليا	**العراق**

الموضوع: إيضاح بشأن استفساركم الأخير

الحمد لله الذي عطّرَ قلوبَ أوليائه بعبير الوفاق، وسقى أحبّاءَه من فيوضات الأسرار والأشواق، وألزمَ قلوب العباد الوجِلين حكمَةَ الاعتبار والإشفاق من كلّ داء ووباء، فلا يعلمُ الإنسانُ في أيّ الدواوين يُكْتَبُ ولا في أيِّ الفريقين يُساق، فإن سامح فبفضله، وإن عاقبَ فبعدلِه، ولا اعتراض على المَلِك الخلّاق.

أمّا بعد،

وإذْ تسأل أيّها السّيّد المفضال عن وصول شحنة الكتب، فإنّي أخبركَ بأنّ الموقع الإلكترونيّ لمكتب الإرسال الدّوليّ يقول إنّها قد دخلت إلى روما، وهذا يعني أنّها لم تصل بعدُ إلى صقلّية، ولم أتلقَّ لليوم أيّ اتّصال هاتفيّ من أيّ موظّف من موظّفي

الإرسال الدّولي. وإنّي أعتقد أنّه لم يبقَ سوى أسبوع واحد لتصلني، وإن شاء المولى ما إن أستلمُها فإنّني سأخبرك بالأمر، وأمّا وإنّكَ تتحدّثُ عن الوباء الكورونيّ وما فعله بالنّاس فإنّي أقترحُ عليكَ أن تقرأ روايتي الأخيرة، ففيها نظرة مختلفة عنه وتقييم جديد له. كورونا أيّها الأستاذ الفاضل ماهي سوى شيفرة خاصّة بالنّظام العالميّ الجديد في ظلّ التغيّرات المعلوماتيّة والرّقميّة الحديثة، إنّها تمهيد لعالم ماليّ جديد يهدف إلى تقنين الضّرائب وتوسيع سلطة البنوك وما إليها من شركات دولية متعدّدة الجنسيات وغيرها، أمّا بالنّسبة لأهل العرفان فكورونا إعلان جديد لصيغة حديثة في التواصل بين الخالق ومخلوقاته، مع التركيز على تغيير منظومة التفكير الدّينيّ والسياسيّ في الكون قاطبة. قريباً أعود إلى الكتابة إليكَ ومعي خبر وصول الكُتب بإذن الله.

تقبّل ختامًا أخلص التحيّات الموجّهة لكَ ولكلّ فريق دار العوسج الكهرمانيّ وخاصّة إلى جنديّات الخفاء فيه، من السيّدات الفضليات اللّائي يعملن بكلّ جدّ ونشاط والتزام كبير من أجل أن تأتي إصدارات الدّار في أحسن صورة وتنضيد وإخراج.

د. ريتاج الأسيليّ

إيطاليا

بانارموس في: ١٠ شباط ٢٠٢١

- ألو، د. ريتاج الأسيلي؟
- ألو، نعم، مَنْ معي؟
- داريو، موظّف من شركة البطريق للشّحن الدّولي في إيطاليا، لقد وصلتْ شحنة من الكُتُبِ باِسمكِ، وهيَ من العراق، وأنا قادم لتسليمها إليكِ على العنوان الّذي في حوزتنا.
- عفواً، أنا الآن لستُ في البيْتِ، إنّني على سفر، اتركْها في المكتبِ المركزيّ وسآتي غداً إن شاء الله لسحبها شخصيّاً. قُل لي من فضلكَ، هل مازال عنوان شركة الشّحن الدّوليّ هو هو ولم يتغيّر؟ لقد سبق أن ذهبتُ إليهِ لأكثر من مرّة. أمازال في المنطقة الصّناعيّة؟
- نعم إنّه في المنطقة الصّناعيّة وإليكِ رقم الهاتف لتتّصلي بهم هناك قبل الذّهاب إليهم.
- شكراً جزيلاً لكَ، وإلى الغد بإذن الله.

بانارموس في: ١١ شباط ٢٠٢١

السّاعةُ تُشيرُ الآن إلى الثّالثة بعد الظّهر، واليوم خميس وأنا صائمة، قبل الخروج أخذتُ معي بعض التّمر وقنينة صغيرة من الماء، ربّما أتأخّرُ وزوجي خارج البيت إلى وقت الإفطار. قصدنا الحافلة الكهربائيّة، فهي وحدها من يصلُ إلى المنطقة الصّناعيّة المرمية في آخر ركن قصيّ من المدينة. لم نشأ ركوب السّيارة وذلك لاستحالة وجود موقف لها في تلك المناطق بسهولة.

أنظر عبر زجاجة النّافذة؛ الأحياء المترامية، البنايات المتهالكة، المدينة تعاني من حالة إهمال رهيبة. والوباء ألزم الكثيرين في بيوتهم. بانارموس تحتضر، ولا حركة إلّا لوسائل النّقل، والنّاس العاملين والموظّفين.

أسمع المسجّل الصّوتيّ الآليّ للحافلة يردّد باللغة الإيطاليّة أسماء المحطّات التي تتوقّف عندها الحافلة كلّ مرّة: روتشيلّا، جسر أميرايّو، يوحنّا قدّيس المجذومين، مِيسّوري، أميدِيُو دا أوسْتا وأسماء أخرى، محطّتي كانت هي الأخيرة، لكنّ زوجي اقترح أن ننزلَ في المحطّة التي قبلها اختصاراً للوقت والطّريق. وذاك بالفعل ما قمنا بهِ، نزلنا وواصلتِ الحافلةُ طريقَها، والتفتُّ

حولي فوجدتُ المكان غريباً عنّي، تحرّكنا بضع خطواتٍ، ثمّ انعطفنا إلى زقاق طويلٍ لا أعرف كيف أخذنا إلى خارج المدينة تماماً حيثُ الحقول اليابسة والخلاء الفسيح. واصلنا المشيَ، وكنّا كلّما تقدّمنا أضعنا الطّريق أكثر فأكثر، وتأكّد لنا أنّنا وسطَ متاهة كبيرة وقد ابتلعتنا تماماً. الأشجارُ منفوشة، والأرضُ منتوفة، ولا أثر للبنايات أو المنازل، وكأنّنا دخلنا إلى بُعد آخر من المنطقة الصّناعية، لا أحد فيه، التّرابُ والسّماء فقط، وبعضُ الأعشاب الجافّة وأصوات الكلاب البعيدة، لا أذكر كيف مرّ الوقت ونحن نمشي ونمشي، وندخل من طريق ونخرجُ إلى آخر، لم نعد نفكّر في مكتب الشّحن، أصبح كلّ همّنا الخروج من المتاهة، مرّت ساعتان ونحن على هذه الحال من الضّياع والتشتّت. كنّا على صيام، المعدة فارغة والرأسُ بدأت تدور، والشمس تشرف على المغيب ممّا زاد من خوفنا، فإذا حلّ اللّيل علينا ونحن هنا، فاللّه وحده العالِم كيف سنخرجُ من هذه الورطة الكبيرة. قال زوجي: "لنتّصل بالدّرك الجمهوريّ قبل أن يحلّ الظّلام، على الأقلّ سيأتي الدركيّون على متن طائرتهم المروحيّة وسينقذوننا من هذه المصيبة". رنّتْ كلماته في رأسي كالجرس، وقلت في نفسي: "يا ويلتي، أنا التي قضيتُ العمرَ كلّه في حجاب السّتر، الآن سيكتبُ عنّي الجميع وسيتحدّثُ الصحفيّون

في التلفزيون والراديو وعلى شبكات التواصل الاجتماعي: الأديبة المتخفّية عن جمهورها ضلّت الطّريق، سنوات وهي بيننا هنا في إيطاليا، بل في العالم ولا أحد يعرفُ عنها شيئاً. يا للفضيحة، ليسَ هذا الّذي كنتُ أخطّطُ له يا إلهي، أنت وعدتني بالسّتر وستسترني إلى آخر لحظة في عمري، أليس كذلك؟ أعلم أن ثمن السّترِ باهظٌ جدّاً، إنّه يجلبُ حَسدَ الجميع وحقدَهُم وبغضهم، ولكن لا بدّ من التقيّة، لا بدّ من اتقاء النّاس وشرّهم وأذاهم والدّفع بالّتي هي أحسن".

فجأة أفقتُ من حواراتي الدّاخليّة وأمسكتُ بيد زوجي، ونظرتُ إليه بعمق وثبات وقلتُ: "دخلنا إلى المتاهة معاً حينما قرّرتَ أنتَ أن ننزل في المحطّة ما قبل الأخيرة، الآن اتبعني وسأُخْرِجُكَ منها، لنقرأْ سورتَيْ الشّرح والضّحى." ثمّ وقفتُ وألقيتُ نظرةً ماسحةً شاملة على المكان، ونزلتُ مِن المرتفَع الذي كنّا نقف فيه وتبعتُ طريقًا ضيّقاً، بدأنا نمشي فوق أثره المرسوم على الأرض المنبسطة. قال زوجي. "لا بدّ أن تكون لهذا الطّريق نهاية، ولا بدّ أنّ هذه النهاية ستأخذنا إلى مكان ما نسأل الله عزّ وجلّ أن يكون فيه الفرج"، وما إن أكملَ كلماته حتّى خرج كلبٌ ضخمٌ من نوع البيتبول وبدأ ينبحُ بشدّة ويتقدّم راكضاً بسرعةٍ شديدةٍ نحونا. أنا لا أحبُّ الكلاب، يخيفني منظرها،

وخاصّة النّوعَ الشّرس منها، وهذا الكلب الّذي أمامنا هو من النّوع الشّرس جدّاً جدّاً، حاولتُ ألّا أوصل إليه تفاجُئي بظهوره، وثبتُّ في مكاني وقلتُ له باللّغة العربية: "بسم الله الرّحمن الرّحيم"، ارتبكَ، وبدأ ينبح من جديد، ويقتربُ منّي أكثر فأكثر، كان يريد أن يشمّني. قلتُ لهُ مرّة أخرى، "بِاِسْم العليّ القدير أسألكَ أن تهدأ وتتوقّف عمّا أنتَ فيه". ارتبكَ أكثر فأكثر، ثمّ صرخ فيه زوجي باللّغة الإيطاليّة قائلاً لهُ: "توقّف واجلس، هيّا توقّف واجلس!" عندئذٍ تراجع إلى الخلف بضع خطوات لا غير، وبينما هو كذلك خرج من نهاية الطّريق رجل أشيَب يبدو عليه الإعياء والتّعب، تقدّم نحونا وخاطب الكلبَ آمراً إيّاه بالهدوء، ثم قال لنا: "من أنتما؟ وكيف وصلتما إلى هذه المنطقة المعزولة من العالم؟".

رفعتُ إليه بصري فاستبشرتُ خيرًا وقلتُ له باللّغة الإيطاليّة: "ليتك تساعدنا، لقد ضللنا الطّريق، ولا نعرف كيف نخرج من هذه المتاهة، ويبدو أن هذا المكان لا يصل إليهِ أحد على الإطلاق."

ابتسم وقال وهو يحاول أن يُهَدّأ الكلب أكثر فأكثر ويطمئنَهُ: "لا روح تصل إلى هنا، لأجل هذا أستغرب كيف أتيتُما؟"

أجاب زوجي: "كنّا نريد أن نذهب إلى مكتب البطريق للشّحن

الدّولي عبر الحافلة الكهربائيّة ونزلنا في المحطّة الخطأ، وابتلعنا زقاق ضيّق، ثمّ قذف بنا إلى هنا حيث لا روح ولا شيء يتحرّك.". "مكتبُ البطريق؟ غريب هذا الاِسم، لم يسبق لي أن سمعت به. عموماً اتبعاني، أوّل شيء عليكما القيام به هو الخروج من هذا المكان قبل أن يحلّ الظّلام، لنركب سيّارتي".

ركبنا السيّارة، وكانت ممتلئة بأدوات البناء والدّهان والطّلاء، من يدري فلربّما كان هذا السيّد بنّاءً! لم أركّز كثيراً في الأمر وبدأتُ أنظرُ من حولي لأستوعب المشهدَ بأكمله، فذاك المكان الّذي كانت تقفُ فيه السيارة كان عبارة عن بيت من الصّفيح، ولم أفهم كيف أنّه يوجد في هذا المكان المهجور من الحياة والزّمن، وعلى بعد خطوات منه كان هناك باب من القضبان الحديدية القصيرة، فتحَ قفله الحديديّ الكبير، ثمّ خرج بالسيّارة، ولم يتقدّم بها سوى لمسافة قصيرة لنجد أنفسَنا من جديد في قلب المنطقة الصّناعية! شيء يشبه الكوابيس، تظهر أبواب وطرقات وأشخاص وكلاب دون أن تستطيع أن تمسك بالخيط، أو ترتّب الأحداث، أو تجد لها تفسيراً واقعيّاً وحقيقيّاً. ظهرت لي محطّة الحافلة الكهربائيّة الأخيرة، فصحتُ: "إنها المحطّة التي كان من المفروض أن ننزل فيها". قال زوجي: "خذنا إليها، ونحن سنعرف كيف سنذهب من هناك إلى مكتب البطريق". "سآخذكما

إليه بنفسي، دلّاني على الطّريق الآن ما دمتما قد تعرّفتما على المكان، فهنا الأماكن مهجورة ومجرّد خطأ جديد ستجدان أنفسكما في أعماق البادية والقفار الخالية".

انطلقتِ السيّارة تحت إرشادنا هذه المرّة وما هي سوى عشر دقائق أو ربّما أقلّ، حتّى أصبحنا أمام مكتب البطريق، دخلنا وأخذنا شحنةَ الكتب، ثم انطلقتِ السيّارةُ من جديد وأخذتنا إلى محطّة الحافلة. وقبل النّزول منها سألتُ السيّدَ صاحبَ الكلبِ الشّرس: "ما اسمُكَ"؟ قال لي: "سالفاتوره". قال زوجي: "مهما فعلنا فلن نستطيع أن نشكرك بالشّكل الّذي تستحقّه، لقد قمت تجاهنا بعمل إنسانيّ نبيل جدّاً، خُذ هذه البركةَ من المال، وعسى أن يتقبّلها العليّ القدير منّا.". ثم أضفتُ إلى كلمات زوجي: "اسمح لي بسؤالٍ جديدٍ وأخير: مادام المكان لا تصل إليه روح، فما الّذي تفعله أنت فيه؟". "كنتُ في انتظاركما، وقد أخبرني عنكما القدّيس بِيُو، إنّه قدّيسي وشفيعي ورفيقي في محنة المرض، إنّني يا سيّدتي مصاب بأحد عشر نوعًا من السّرطانات، آخرها أصابني في فمي، وأنا هنا سجينُ الجِنّ. عموماً سعدتُ بلقائكما، وبأنّني استطعتُ بشكلٍ أو بآخر أن أخدمكُما.". "شكرًا لكَ أيّها السيّدُ النّبيل" قلنا أنا وزوجي، ثمّ ركبنا الحافلة التي أعادتنا إلى البيتِ.

بانارموس في: ١١ شباط ٢٠٢١

السيّدة ريتاج الأَسيليّ
حيّ الغُصن الذهبيّ
ولاية بانارموس
إيطاليا

إلى السيّد ذو الفقار الأسديّ
حيّ الجمّار الماسيّ
ولاية بابل
العراق

الموضوع: استلام شحنة الكتب

عدتُ لتوّي من مكتب الشّحنِ البالرميّ، وقد استلمتُ حزمة الإصدارات الجديدة، وإنّي لشاكرة لكم لطفكم واهتمامكم بمتابعة خطوات الشّحنة إلى أن وصلتْ سليمة إلى إيطاليا. وإلى لقاء يتجدّد بإذن الحيّ القيّوم في إصدارات قادمة لدى داركم الموقّرة.

مُحِبَّة بابل الحكمة وعراق الأسرار
د. ريتاج الأسيليّ

(٢)

خلوة جديدة

بعد أن كتبْتُ رسالتي السّريعة إلى دار العوسج الكهرمانيّ أخبرُ فريقها فيها باستلامي لإصداراتي الجديدة لهذا العام، ذهبتُ إلى غرفة الأكل، وجلستُ إلى المائدة لأتناولَ وزوجي وجبة الإفطار، كُنّا نحاول استيعاب ما حدث لنا في هذا اليوم العسير من الصّوم والتّيه، لكنّنا لم نصل إلى تفسير أو شرحٍ مقنع، وحمدنا الله على النّجاة والسّلامة والعودة إلى البيت. وحينما حان وقتُ النّوم ذهبتُ إلى السّرير وأنا أفكّرُ في خلوة جديدة، وذاك ما كان بالفعل إذ أنّني بمجرّدِ أن استيقظتُ في اليوم التّالي، قطعتُ كلّ أمر يصلني بصفحتَيَّ على الفيسبوك والتويتر، حتّى لا يشوّشَ عليّ أو يكدّر تفكيري أيُّ أمرٍ كيفما كان نوعه، وإنْ كنتُ أصلاً مقلّة في الحضور على شبكة الإنترنيت ومواقعها الثّقافيّة بل غائبة عنها إلى حدٍّ كبير، ولكن حتّى هذا القليل من الظّهور أردتُ أن أقطعه تماماً وبشكل كامل. وحينما تمّ لي الأمر، بدأتُ أتدبّرُ فيما حدثَ لي حينما ضللتُ طريقي إلى مكتب البطريق للشّحن الدّولي، وكيف أنّني دخلتُ في متاهة عجيبة، ووصلتُ إلى مكانٍ خارج عن كلّ الأبعاد الأرضيّة المتعارف عليها، بل كيفَ أنّني كنتُ على وشكِ أن يُمزّقني ذاكَ الكلبُ الشّرسُ إرْباً إرْباً لولا أن تدخّلَ اللهُ بلطفه الخفيّ. وبتُّ أسألُ نفسي: أحقّاً ما حدث لي أم أنّه ضربٌ

مِنَ الخيال؟ أيُعقلُ أن يكون في المدينة أماكن بهذا الشّكل؟ أماكنٌ تبتلعُكَ ولا يعرفُ عنكَ بعدها أحدٌ أيّ شيءٍ! كان من الممكن أن أبقى هناك في تلك المتاهة لأيّامٍ وأيّامٍ بل لشهور طوالٍ دون أن أستطيع الخروج منها أبداً. يا إلهي، كيف حدث هذا؟ أحسسْتُني يونس وقد ابتلعني الحوت! نعم هناك أشياء عجيبة جدّاً تحدثُ في هذا العالم ولا يدري بها النّاسُ، تذكّرتُ خوسيه سلفادور الفارينغا الّذي تاهَ عام ٢٠١٢ في البحر إثر حدوث عطل في محرّك قاربهِ الصّغير، تذكرتُ كيف بقي في البحر لمدّة ثلاثة عشر شهراً، وكان يأكلُ السّمَكَ النّيّء ويشرب بوله ودماء السّلاحف كي يضمن لنفسه البقاء على قيد الحياة. ماذا كنتُ سآكلُ أنا لو لم يُخرجني سجينُ الجِنّ من ذاكَ المكان؟ لم تكن هناكَ سوى الحشائشِ الصّفراء والتّرابِ المبلّل بماء مطر سقط في اللّيلة الماضية، وبعض الأشجار المتفرّقة هنا وهناكَ.

آآآهٍ من حرائق الأسئلة، لكن هناك سؤال مازلتُ لم أطرحه بعد، ولا بدّ أن أجدَ الجواب الصّارم عنه: لماذا حدثَ لي كلّ هذا؟ أيُّ درسٍ، وأيّة إشارة في حادثة التّيه هذه؟ يقول الكلبُ الإيطاليُّ الشّرسُ، إنَّ الحرفَ هو السّبب. يقول إنّ حرفِي حينما شاع وذاع صيتهُ جلبَ عليَّ نباحَ كلاب الإنس، وحرّكَ قواهُم الحيوانيّة فامتلأت نفوسهم بالغلّ والحقد والحسد، وباتوا

يعضّونَني ويأكلون لحمي نيّئاً فوق موائدهم واجتماعاتِهم.
هذا صحيح لحدّ ما، لكنّني لستُ ممّن يلقي بالاً لكلّ هذه القوى الحيوانيّة، لأنّها تدخلُ في لعبة الدّنيا الكبرى، وأعلمُ أنّه لا بدّ من وجودها وفي النّهاية لن يصحَّ إلّا الصحيح، والكلابُ تنبحُ والقافلةُ تسير. لكن ما الّذي يعنيه التّيه في حدّ ذاته؟ هذا هو السّؤال الوجيه. هل توّهني الحرفُ حقّاً؟ هل هذا يعني أنّهُ لا بدّ لي من التوقّف بعض الشّيء لأصحّح مساراتي، وأصوّبَ الأمور الّتي لم أنظر لها بالعمق الكافي؟ ربّما تكون هذه هي الرّسالةُ التي أراد الرّحمنُ أن يبلّغني إيّاها، ولقد استوعبتُها اللّحظة كاملةً. لكن بقيَ لي أن أتساءل أيضاً عن الكيفيّة الإعجازيّة التي حصلتْ بها النّجاة، لقد حدثتْ مباشرةً بعد أن أنهيتُ تلاواتي المتكرّرة لسورَتَي الضّحى والشّرح! أعلمُ أنّ علاقتي بالقرآن الكريم خاصّة جدّاً، لكنّ فتوحات الآيات كانت هذه المرّة أقوى وأوضح لا سيما وأنّ الموقف كان موقف ضيق وعُسرٍ شديديْن. في طفولتي كانتْ والدتي تناديني بفقيهة البيت الصّغيرة، كنتُ أحفظُ القرآن كاملاً، وكان والدي كلّما كنّا على سفر في سيّارة الأسرة طلبَ منّي قراءة بعضٍ من السّور القصار على طول الطّريق إلى أن نصل إلى المدينة المقصودة. كان يجدُ في ذلك متعة كبيرة، وكان يرى أنّني ملاكه الحارس، وأنّ

القرآن المتلوَ يحمينا جميعاً من مغبّات الطريق ومفاجآتها. كبرتُ بعد ذلك، ومرّت الأعوامُ سريعة وحانَ وقتُ الهجرة إلى إيطاليا من أجل إكمال دراستي الجامعيّة، أذكر أنّ أوّل شيء وضعته في حقيبة السّفر كانَ قرآنًا متوسّط الحجم وسجّادة صلاة خضراء اللّون، مازلتُ أحتفظُ بهما إلى اليوم. حبيبي أيّها القرآن، دعني أسمِّكَ بـ (ق)، لن أقول قافاً، ولكن (قَ)، لأنّها هكذا كما تُنطق بدون الفاء في الأخير أراهَا حرفاً له معاني خاصّة جدّاً، قُلْ لي يا (قَ)، أيّة صلة تجمع بينكَ وبيني أيُّها الحرفُ العجيب، بل بينكَ وبينَ كلّ مؤمنٍ حقّ؟ إنّهُ العشق، إنّها حكاية حبّ وولاء وانتماء إلى الحضرة الإلهيّة، ولا أعرفُ كيف يطلقون على اللّغة العربية اسم لغة الضّاد، وكان الأولى أن ينعتوها بلغة (ق)، ألم يكن فعل (قرأ) هو أول ما خاطب به الخالقُ نبيّ الوحي والرّحمة؟ (ق) إذن هي أول الحروف ومنبع الحكمة.

قبل سنواتٍ أتذكّرُ أنّه عُثر في إحدى شوارع مدينة ميسّينا الصقليّة على رجل ميتٍ، لم يعرفوا من أيّ بلدٍ هو لأنّه لم تكُن معه أيّة وثيقة هويّة، لكنّهم وجدوا شيئاً واحداً في جيب سرواله، قرآناً بحجم صغير جدّاً، عرفوا من خلاله أنّه إنسان مسلم، فدفنوه مع المسلمين وانتهى الأمر بالنّسبة لهم، لكنهُ لم ينته بالنّسبة لي، أنا التي قرأتُ الخبرَ في الصّحف، لقدْ شرع أمامي

نوافذ جديدة تطلّ على غابات فسيحاتٍ من الأسئلة والتفكّر والتدبّر: كيفَ تتحدّدُ هويّتُكَ أيها الإنسان مهما كان المكان الّذي تسكنه في الأرض؟ كان ذاك الرّجل بالنّسبة لي مؤمناً، ولم يكن مسلماً فقط، والإيمان أعلى درجةً من الإسلام، ولا أحد يعرف قصّة القرآن في جيبه، فلربّما كان من المهاجرين السرّيّين وكلّ ما كان يعنيه في الحياة أن يحمل معه كلمة الله التي لم تُوجَّه للمسلمين فقط، وإنّما إلى العالمين أجمعين.

كلمة الله، يا كلمة الله، ما الّذي يربطني بكِ، وكيف اكتملت دائرة الوصال فخرج ذاك الكلبُ الأسود بمجرّد أن أنهيتُ تلاواتي، هل كان حقّاً شرساً وشرّيراً؟ إذا أمعنّا النّظر يا أحبّتي فسوف تجدون معي أنّه كان بشارة بوجود إنسان سيمدّ لي يد المساعدة في ذاك المكان العجيب، ويحمل اسم سالفاتوره التي تعني باللغة العربيّة "السيّدَ المُنقذ أو المخلّص". كانت مهمّته في اسمه وأنقذني حقّاً من التّيه والشرّ المستطير. لكلّ آية ولكلّ حرف في القرآن سرّ وروحانيّة وخُدّام، وسالفاتوره وكلبه الغريب كانا معا من تجلّيات وأسرار تلك الآيات المباركات، فلقد حملني سالفاتوره إلى مكتب الشّحن، وانتظرني لما يقارب النّصف ساعة، ثمّ أخذني إلى محطّة الترام، ولم يغادر المكان حتّى رآني أعود وزوجي إلى بيتنا في أمن وأمان وقال لي إنّه لم يفعل ما فعله مقابل أيّة منحة مالية. يا لها من خدمة جليلة!

دوائر الاتّصال حينما تكتمل تُفَعِّلُ روحانيات عجيبة في الكلمة الإلهيّة، وتفتحُ عوالم مهيبة وعميقة لا يعرفُها إلّا أهل الله، أقولُ هذا وقد تذكّرتُ على ضوء حادثة التّيه هذه كيف أنّني ذات يومٍ من عام ٢٠٠٣ حينما كنتُ أقرأ بعد صلاة الفجر سورتَيِ الكهف والدّخان شعرتُ بسكينة عجيبة أتى بعدها نعاس خفيف اضطررتُ معه أن أذهب إلى السّرير وأستلقي فوقه، وبينما كنتُ كذلك، والجوّ شتويّ، والسّاعة مازالت لم تتجاوز بعدُ السّادسة صباحاً، إذا بها تظهر في غرفتي ثلاثُ دوائر ساطعة من نور شاهق، خرجَ منها رجل بلباس أهل الحقّ: فوق رأسهِ شماغ بخطوط سودٍ وعقال، وعلى جسده لباس أبيض فوقه بشتٌ بنّي اللّون. كان بلحية سوداء قصيرة وكثيفة، وشوارب سود أيضاً، وعينين ببؤبؤيْن كبيرين وشديدَيِ السّواد. ألقى تحيّة السّلام، وجلس مباشرة إلى يميني وبدأ يقرأ بعد الاستعاذة والبسملة سورة الفاتحة وأنا أقرؤها خلفه لثلاث مرّات، ثمّ بدأ صوتٌ من حوله كأنّه طنين جيوش جرّارة من النّحل يُسبِّحُ بحمد الله وعظمته، وبعدَ أن طبَّني بيديْه الكريمتين في كامل جسدي كما يفعل المُروّضُ الفيزيائيّ والجرّاحُ الباطنيُّ بدون مبضع ولا مقصّ ولا آلة، عاد من حيثُ أتى ولم يفته أن يُعلّمني كيف أطبُّ نفسي وقت الحاجة. قمتُ من سريري والدّموعُ تفيضُ من عينيّ، ومنذ

ذلكَ الحين تغيّرتْ كلّ أفكاري عن القرآن الكريم؛ كلّ ما قرأته في الكُتُبِ، وكلّ ما سمعته من الأساتذة في الجامعات. وكلّ ما سبقني إليه النّاس، لم يعد له أيّ وزنٍ ولا معنى، كأنّ السّماء أمطرت ماءً غزيراً نزل على عقلي وقلبي فغسل كلّ شيءٍ. أصبحتُ حينما أمسكُ القرآنَ أشعرُ بشيء يسيل في قلبي، ويتذوّقهُ لساني كأنّه عسل مصفّى، تشتعلُ أصابعي بالنّور، وأبدأ أقرأُ بِهَا كما يفعلُ الأعمى، أمرّر كلّ إصبع على الحروف، فتُزهرُ يداي، وتدمع عيناي. سور القرآن، تلك التي يقولون عنها إنّها سور قتال وحرب، لا أحدَ يعرفُ قيمتها الحقّة، فيها أسرار عجيبة تتحدّثُ عن مملكة الإنسان الداخليّة لا الخارجيّة، وعن حروب يخوضها كلّ شخصٍ أثناء رحلته الأرضيّة وهو في طريقه نحو الإزهار والتنوّر، ولا علاقة لها بتاتًا بما فهمه الآخرون عن حروب النبيّ مع أعدائه الخارجيّين. حتّى نبيُّنا محمّد صلاةُ الله وسلامه عليه وعلى آله الطّيّبين الأطهار، بتُّ أراهُ بوجه جديد، وفكر أجَدّ. ولا أعرفُ كيف كانت تفصلني كلماتُ السّابقين من أهل العلم عنه، ولا كيف جمعتني به اليوم حروف الوحي فقط، لدرجة أنّي بتُّ أراهُ في كلّ شيء من حولي، وكلّما قرأتُ سورةً، ظهرَ لي محمّد في قلبي وكأنّ قلبي معجون به، وكأنّ نبضي يتحرّكُ بنبضه، بل كأنّ قلبي نفسه

محمّد، بل كلّ الأنبياء والرّسل. وكلّ حرفٍ من الوحيِ بتُّ أجدهُ مُنَزّلاً على كلّ ذرّة في كينونتي ويعنيني روحاً وجسداً منذ أنْ رأيتُ النّور إلى ما بعد هذه الحياة وكلّ الحيوات.

يخفق قلبي لكلمة الفرقان، أسمعها وأبكي، يحضُرُ محمّد النّبيّ وهو طفلٌ، فأجلسُ إلى جانبه، وأسألهُ: كم من طفولة يجب أن يبلغَ الإنسانُ ليدخلَ إلى مدرسة (قَ)؟ قلبي طفلٌ يا حبيبي، لهذا يراكَ طفلاً. ما أجملكَ وما أبهاكَ: هذه العيون الكحيلة، وهذه الرّموش الكثيفة، وهذا النّور الوهّاج، حدِّثْني لطفاً وكرماً منكَ عن (قَ)، كيفَ نطقَ في قلبكَ؟ كم من العوالم عبرتَ، وكم من الجبال صعدتَ، وكم من السماوات دخلتَ لتستحقَّ أن تكون جليس الرّحمن وكليمه وخليله ورفيقه وصاحبه الأثير؟! في قلبي يجتمع الأنبياء، وكلّ كلمة أقرؤُها من (ق)، أجدني أعرفُ معانيها، لكنّي لا أستطيع كتابتَها ولا التّأليفَ فيها، إنّها في صدري وهذا يكفي. كم من الدّموع أسكب حينما أرى وجهكَ يا حبيبي، تتعطّلُ لغة الكلمات، ويصبح كلّ شيء من حولي محمّداً. هل هذا سِحر؟ ما أجمل السِّحرَ إذن إذا كان معجونا بعسل (ق). كلّ النّحل يحوم حولي ويطنُّ وكأنّني بيتٌ من الشّمع والعسل، وكلّ الطّنين حروف، وكلّ حرفٍ له أسرار تتحدّثُ عنكَ أنتَ فقط يا صاحب التّاج والمعراج.

من كان ذاكَ الكلبُ الأسودُ يا حبيبي، قلْ لي، بل من كان صاحبهُ؟ أخشى أن يكونَ ذاكَ الّذي تعرفهُ ويعرفُكَ ويعرفُني: شششش، شششش، لا تنطق شيئاً، الصّمتَ الصّمتَ يا أهل البيان!

(٣)

صمتُ العالمِ قبلَ الخَلق

كلّ أهل الأسرار عرفوا من كان سالفاتوره، فصمتوا وشابَ ووقفَ لصمتهم شَعْرُ رأسي، ودخلتُ إلى خلوتي وأنا أتساءلُ كيف يصبح القلبُ نبيّاً بدون دعوة ولا رسالة، بل كيف يسمعُ النّبيُ الحرفَ ويسكبه من صدره فوق ورق لا يطّلعُ عليه إلّا مَنْ صام وسَهر؟! قلبي مثلكَ يا وليّ العهد، يا مَنْ مثلي تَجلسُ إلى (ق) وتَبكي، يامَنْ ترنو إلى أن تُصبحَ كاتباً وأديباً مُبْتلىً بالكَلمة، آنَ لكَ أنْ تعرفَ أخيراً أنَّ كُلَّ شيءٍ في عِلم الحرفِ يبدَأُ من النُّقطة وينتهي عند النّون. وأنّ النّونَ ليستْ بشرقيّة ولا غربيّة، إنّما هيَ فوق كلّ ما تتصوّرُ: مغربيّةُ الأصلِ والمنبتِ. صاحبةُ جاهٍ وسُلطانٍ، وربّةُ أخدارٍ مَلَكوتيّة عُليا. المعبدُ الإلهيُّ الأوّلُ تحتَ إمرتِها، والبلاطُ الملكيّ الأزرقُ بيتُها وكلّ من فيه رهنُ إشارتها. تسبَحُ في الأنوار، ولغتُها كلّها أسرار.

وُلِدَتْ مِن الصّمتِ، وصمتُها يُبْطِلُ كلَّ خُبْثٍ ومكرٍ وشرٍّ، ويشفِي كلّ آفة ومَرَضٍ وعلّة. وهيَ الرّوحُ العُظمى الّتي تُشَرْعِنُ وتُقَنِّنُ الكَلامَ. لذا عليكَ أنْ تفهَمَ منذُ الآن أنّه حينما ستجلسُ إلى ورقتكَ لترقُمَ فوقَها حروفكَ، فإنّها ستحضُرُ بصمتِهَا وتبدأُ في الإصغاء إليكَ، لتُضْفِيَ على كلّ ما تكتُبُهُ مزيدًا من الاتّساع والحريّة، ومِنَ البلاغة والفصاحة، ومنَ السِّحْر والجمال. وهذا

سيحدثُ لكَ، لأنّ النّونَ أو الإمبراطورةَ المغربيّة هي أصلُ اللُّغة في الكون بأسره، وهذا سرٌّ ستكشفُهُ لكَ في العديد من الأشكال الّتي قد تتعذّرُ عليكَ الإحاطةُ بها كاملةً؛ فصمتُ الفجرِ مثلاً يعرفُها، وكذا صمتُ الأشجار وهي في إيراقِهَا تسْعَى إلى بلوغ عنان السّماء. والفصولُ المتعاقبة تعرفها أيضاً، وعطرُ اللّيلِ وأشعّة الشّمس وضياء القمر. النّونُ المغربيّة تُمطرُ صمتاً تسمعه في موسيقى الكون وهي تتحوّلُ إلى نومٍ ثمّ إلى أحلام ثمَّ إلى رؤى، لأجل هذا ستراها تزورك في منامكَ يا وريث العهدِ لتبوحَ لكَ بالأسرار. وصمتُها هو العالمُ قبل الخلقِ، وهو الحرفُ قبل الكتابة. وليس الحرفُ كما يفهمه عادة أهل الكتابة والأدب، حرف هؤلاء مجرّد قناع وهو حاجة تُطلب، أمّا حرف أهل الله فهو أبعد ما يكون عن الحاجة والتسوّل، إنّه مشاركة وفرح وعطاء. وقد يتظاهر العديد من الكُتّاب بمعرفته في حين أنّ الحرف الحقّ لا يعرفه إلّا القليل جدّاً من النّاس، إنّه غذاء يقوّي الرّوح، لذا لا بدّ لمن يعرفهُ أن يكون خادماً له، واعلم يا وليّ العهد أنّك إذا خدمتَ الحرفَ وأعطيتهُ النّقاوة الّتي فيك، أعطاكَ الطّهر الّذي فيه وفاض عليكَ بالعطر والعسل والحليب. الحرفُ أعظم تجربة في الوجود، وأولئكَ الّذين يعيشون دون أن يختبروا طاقته لن يعرفوا أبداً معنى الحياة، اسأل محمّداً واسأل إدريس

وسليمان وتوت الفرعونيّ، كلّهم سيقولون لكَ إنّ العالم لا يكتملُ إلّا باللّغة، واللّغة لا تظهرُ إلّا بالنّقطة وطنين النّحل من حولها ورنين الأجراس من فوقها، والنقطة هي شمسُ النّون التي تبدأ الخلقَ وتُكملهُ في كلّ شيءٍ تراهُ أو لا تراه. صمتُ النّون هو الحرفُ الخفيّ، وهو الكلام الّذي ينمو بين أصابعكَ ليخلقَ حالة إلهيّة تولدُ منها الكلمة المقدّسة، وكلّ الحقائق العظمى التي تجلّت في اللّغة إنّما وُجدتْ في صمتِ النّون الخلّاق.

يا وليّ العهدِ، أيّها الكاتبُ والأديبُ المؤيّدُ بجمال النّون، وأنتَ تقرأُ كلماتي هذه لا تقُلْ إنّني لم أحذّركَ، فالنّونُ خطيرة جدّاً، وصمتُها كما هُوَ علويٌّ، فهو أيضاً سُفليّ، والصّور فيها كما تهطلُ مِن الأعلى فهي أيضا تصعدُ منَ الأسفل. وإذا كانتْ تحوي القوّة والحياة، ففيها الضّعفُ أيضًا والموت. تذكّر أنّ هناكَ دائماً شيءٌ مطمور في صمتِ النّون، شيءٌ يُمكنهُ أن يخترقَ الحرفَ، ويصلَ إلى ورقتكَ ليُفرغها من الرّوح، ويفتحَ أمامكَ أبواب الخوف والظّلام والعتمة، وأبواب الطّلاسم والسّحر الأسود. فاختر بأيّةِ لغة تريدُ أن تكتُبَ، أبِلُغَةٍ تنبُضُ بالرّوح القدس، أمْ بلغة لا روح فيها. واسأل نفسكَ أتُريدُ أن تُعيدَ الظّلامَ إلى طاعة الله، أمْ تريد أن يكون حرفُكَ مكشوفاً لكلّ قوى الشرّ القادمة من باطن الصّمتْ؟! لا بدّ أن تهزمَ صمتَ اللّيلِ بلمعانِ سيفِ النّون

ودرع النّقطة. هذا هو التحدّي!

يـا ولـيّ العهـد، أيُّهـا العابـدُ المسـكونُ بـالحرفِ، إذا لـمْ تَعرفِ اليومَ قبْلَ الغَدِ أنّ لبلوغ قمّة الجَبَلِ المكسوِ بالجليد ضريبة باهظـة الثّمن فقُل علـى نفسكَ السّلام. نعم، قد يكونُ الصّعودُ شاقّاً جدّاً، لكن لا بدّ لكَ أن تعلمَ أنّه كما توجدُ في الأعالي قِممٌ، هُنـاكَ فـي الأسـافلِ قِمـمٌ أيضـاً، عليـكَ أن تعـرفَ كيـف تعـودُ القهقـرى لتُـدركَهَا، ولـيس كـلّ صـعود رفعـة، ولـيس كـلّ نـزول ضِـعة، وقدْ تكتشـفُ أنّـهُ لا بـدّ لـكَ مِن العودة من حيثُ أتيتَ لتُرَاجعَ حساباتكَ جيّداً كما فعلتُ أنا حينما تهتُ وأنا أبحثُ عن مكتـب البطريـق للشّـحن الـدّولي، بـلْ لا بُـدَّ مـن بُلـوغ مـا تحـتَ الصِّـفْر لتتّضِـح لـكَ الرُّؤيـا، وتتفكّـرَ فيمـا الّـذي تريـدُهُ منـكَ هـذه النّون الّتي تسكنُكَ، وإلـى أينَ هـيَ بكَ ماضيةٌ حقّاً هذه الكتابـةُ الّتي تغويكَ؟!

هل الكتابـةُ غوايـة؟ أنـا مثلـكَ يـا عزيـزي، كثيـراً مـا أطـرحُ علـى نَفْسي هذا السّؤال، وتُجيبُني النّونُ قائلـةً: لا بدّ للكتابـة أن تكونَ بالعيْن، لأنَّ الحرفَ إبصار، بلْ صحوةٌ ويقظة. وحينما أنتبه إلى نفسي أجدُني لا أكتُبُ حقيقةً بيديَّ، وإنّما بـالعيْنِ الّتي فـي قلبـي، وحينذاكَ أُدْرِكُ أنّهُ حينَما يمتلـئُ عقلـي بالنّور لا بالكهربـاء تنقلبُ عيناي إلى الدّاخلِ، وأصبحُ أنظُرُ هُناكَ، ويسقطُ العالمُ الخارجيُّ

في جُبِّ النّسيان. عندئذٍ تبدأُ روحي رحلتَها العجيبة في الأعالي كما في الأسافل، وأكتشفُ معها عالمَ الصّور والأفكار، ليتجسّدَ الخيالُ الكونيّ أمامي حيّاً ناطقاً، فتتحقّق نشوتي المفعمة بالجنون السّاحر، والعقل الخلّاق.

رُبّما ستكتشفُ ذاتَ يومٍ أيُّها العابدُ أنَّ الرّؤيةَ مرادفة للحرف، وأنّ الكتابةَ وعيٌ بالنّور، لأنّ الكلمةَ؛ كلمةَ الله هي من تخلقُ هذا النّور. وليستْ كلُّ العيونِ ترى بالطّريقة نفسها، ولا حتّى الوجود يتجلّى بالشّكل أو اللّون نفسهِ أمام العيونِ المُتأمّلة، فعقلكَ أيّها العابد طُبعت فيه الحقائقُ من الدّاخل والخارج، وحينما يحدثُ السُّكْر وتتحقّقُ اللّذّة تختلطُ الكتابات.

أيُّها العابدُ، تذكَّرْ أنّه ليس كلُّ مَن يكتُبُ يمتَلكُ سرَّ تحويل المعادن إلى ذهبٍ خالصٍ، وإلّا لَأصبحَ كلّ الكُتّاب أغنياء، وتذكَّرْ أيضاً أنّه لا وجود أصلاً لهذا السرّ – إذا كُنتَ تفكّرُ في البحث عنه –، وإلّا لرأيتَ الملوكَ وأثرياء العالم يمتهنون الكتابةَ قبلكَ! الكاتبُ العابدُ الحقّ يعافُ الذّهبَ أينما كان، لأنّه غنيّ بنور الله، وشقيٌّ من لا يعرفُ أنّ ذهبَ الكتابة هو الألَم، وتعيسٌ ذاك الّذي لا يُريد أن يتألّمَ، لأنّه سيَعيشُ مطحونًا بالعذابِ والآهات. والحياة تجرف بدون هوادة ولا شفقة كلّ منْ لا يُريد أن يمشيَ فوق الجمر، ولا أن يلقي بنفسه في بحرها الهائج. لا بدّ

لكَ من السّباحةِ أو الكتابةِ الآن أيُّها العابد، ليس أمامكَ خيار آخر.

لكن لا تنسَ وأنتَ تسبحُ أو تكتبُ أن تتصَبغَ بالنّون وتسألَ نفسكَ: كم من الحيوات عليكَ أن تعيشَ لتتعلّمَ لغتَها الصّامتة؟! عمر واحد لا يكفي. صمتَ الجبال الشّاهقة، هذا ما أعنيه، لا صمتَ الخوف أو الخواء الدّاخليّ. الصّمتُ التّجاوزي يقتضي منكَ الكثير من الرّياضات الرّوحيّة، ولا بدّ أن تُرَوّضَ من خلالها لسان الفِكْرِ، لا لسانَ الفم. والفكر الصّامتُ أعمق من الفكر الصّاخب. إذا تحقّقَ لديكَ، ظهرتْ عليكَ علاماتُه: عينين مغمضتين وشفتيْن باسمتيْن في حشمة ووقار.

سنوات طوال وأنا أكتبُ، واكتشفتُ بعد كلّ هذا العُمر أنّني لم أكتب شيئاً يليق بالحرف، بل لم أقُلْ بعْدُ شيئاً، وكلبٌ واحدٌ فقط نبح خلفي كاد أن يقتلني. لقد قضيتُ عمري صامتةً، بعيْنيْن مغمضتيْن، أنتظرُ أن يهطل الحرفُ الحقُّ والكلمة الحقّة. سنواتٌ طوال وأنا أحفرُ في بئري الدّاخليّة والآن فقطْ رأيتُ الماء. أكثر من أربعين إصداراً لم تكُن كافية أبداً، كنتُ أكتبُ فيها بالحِبر والآن حان الوقتُ لأكتُبَ بالماء. لأنَّ الكتابة بالماء كلامٌ صامتٌ لا يظهر إلّا لأصحاب الأسرار، أصحاب الأعين المغمضة، والألسن الصّامتة. نعم، لا بدّ أن تغمض عينيْكَ، لا بدّ أن تتقلبَ

الرّؤية إلى الدّاخل لتلتقي بنُونِكَ الكُبرى.
دروسكَ الأولى ستكون بالهيروغليفيّة. ولا بدّ من مرحلة الهيروغليفيّات هذه، وتأكّد أنّك لن تغادرها إلّا بعد أن تتعلّم كيف تُصالِحُ وتجمع بين المتناقضات؛ بين الخير والشرّ، بين الحبّ والكراهيّة، بين القوّة والعجز، بين الإيمان والكفر، بين الجنّ والإنس، وبين الكثير والكثير من هذه الثنائيّات الكونيّة .
واعلم أنّه إذا تحقّق لكَ هذا يا وليّ العهد، سوف تفهمُ للعمقِ ما الّذي يحدثُ للإنسان الآن، بل لكلّ من يحيط بكَ من الأهل والأصدقاء وحتّى لمتابعيك على صفحات مواقع التّواصل الاجتماعيّ!
الإنسانُ اليوم يجذبُ إلى نفسه كل الأشياء الفوضويّة وبدون أيّ شكل من التّناسُق أو الانسجام، وهي كلّها أشياء يرسُمها في عقله بشكل فرديّ، لا حضورَ فيه للآخر أو للجماعة الإنسانيّة. خذ مثلاً عندك الكُتّاب والأدباء، ستجدُ معظمهم يعانون من حياة مشوّشة تُجسّدُ اضطرابَ الرّوح الدّاخليّة، وهذا يحدثُ لأنّ الكاتبَ المعاصر لم تعُد لديْه القدرة على مواجهة أفكار الكون الكبرى ممّا يخلق لديه نوعاً من التّشرذم الدّاخليّ الّذي يُعَبّرُ عنهُ من خلال سعيه إلى جذب الأسماء والأشكال المُزيّفة مثله في عالم الكتابة والأدب. وخرابُ النتاج الأدبيّ والفكريّ بشكل عامّ، هو

دليل قاطع على ما لحق روح التّفكير من دمار بسبب الذّاتية المفرطة لدى الإنسان وسعيه المستمرّ إلى تحقيق الانفصال والقطيعة الكاملة بين عالمَيِ الرّوح والمادّة، أيْ بين عالمه الدّاخليّ وعالمه الخارجيّ. وهذا يعني بشكل آخر غياب الاستمراريّة الباطنيّة والرّوحية لدى العديد من مفكّري وأدباء العالم المعاصر. ولأنّ كلّ واحد منهم يعاني من تفكّك داخليّ، فإنّك تجد الكاتبَ منهم يسعى إلى نفخ كيانه من حين لآخر حتّى يطمئنّ ويؤكّد لنفسه بأنّه موجود فعلاً، فتراه يحرصُ على أن يكون حاضراً في المهرجانات والنّدوات، والاحتفاليات الأدبية وما إليها من هذه النّشاطات، كما تراه يبذل قصارى جهده ليعتلي المنصّات ويصرخَ بما يعتبره من وجهة نظره فكراً وأدباً. وهو في هذا يشبه كثيراً رجال السّياسة، إنّه يفعل مثلهم، يصرخ في كلّ مكانٍ يذهب إليه حتّى لا يشعر بأنّ الحياة قد لفظته إلى الخارج، وأن الوجود قد تبرّأ منه تماماً.

الصّمتُ الّذي أحدّثُكَ عنهُ يا وليّ عهد النّون، ليسَ نقيض اللّغة، إنّما هو منها وفيها، وهي منه وفيه، واللّغة أعني بها تلكَ المتعالية، التّجاوزيّة الّتي تبني وتهدمُ، وتحفرُ وتُخرجُ الكنوز. شيء كالبحر ينبغي أن تتجاوز الموج وما بعد الموج، وما بعدَ الأعماق لتصل إلى سرّه الدّفين، حيثُ ليس ثمّة من

شيء سوى الصّمت: صمتَ العبادة، صمتَ المحراب، وصمتَ مغارات النّور .

منذ طفولتي وأنا أحبُّ هذا النّوع من الصّمتِ، كنتُ أراه في جدّي السيّد السملاليّ، رجلٌ عاش لما يزيد عن المئة سنة، وما سمعتُه يوماً ينطقُ بكلمة خارجة عن سياق الطّهر والنّقاء. كان كثيراً ما يُغمضُ عينيه وشفيته، وكانت حالته هذه تحيّرني كثيراً، لكنّني حينما كبرتُ عرفتُ معناها، لأنّني بلغتُ المئة من عمري وأنا في العشرين !

كلّ من كان يحاول أن يلتقط لي صورة، كان يندم على ما فعل، لأنني كنتُ أظهرُ دائماً في الصّور مغمضة العينين والشّفتين، كأنّني نائمة. فهمتُ فيما بعد أنّ ذلكَ يحدثُ بسبب صمتي الدّاخليّ، ثمّة شيءٌ من العمق هناكَ، ثمّة نون مغربيّة، ثمّة بئر حفرتُها بكلّ صبرٍ وتؤدّة، والآن فقط بدأتُ أشربُ من مائها وأكتبُ بهِ.

الصّامتُ في الكتابة لا يَزورُ ولا يُزارُ إلّا بعد أن يفارقَ هذه الحياة، ويفوحُ عطر مسكه بعد أن يوارى التّراب. الكلّ يبحث عنه، لكنّه لا يبحثُ عن أحد. تختطفهُ النّون لتُعطيه مفاتيح علم الرّوح، بعد أن أعطته في الأزل مفاتيح عِلم الإسم. وكلّما أمسكتَ بحرفه اكتشفتَ أنّه بعيد المنال، نجمة قطبيّة في السّماء

تشظّت منذ بلايين السّنين وظلّت ببريقها حلمَ العطاشى من أهل الحرف والمحبّة.

في الصّمتِ موسيقى تقتضي الاستماع والسّماع. وحينما يصمتُ العارفُ تنفتحُ أذنه الدّاخليّة، وتُشرَعُ أبواب الكلمة الحقّة، ويبدأ المعشوق في مغازلة العاشق، ولا يمكنك أن تقول عن نفسكَ إنّك بلغتَ ذروة الصّمتِ ما لم تسمع المعبود يردّ عليك قائلاً لكَ كلّما ناديتهُ: "يا حبيبي، يا قرّة عيني... كم أحبّكَ يا..."، عندئذ يصمتُ كلّ الكلام، وتذوب كلُّ الحروف والأبجديات، وتصبحُ أنتَ الصّوت الّذي يردّدُ في الأعماق: "يا حبيبي، يا روح روحي، كم أحبّكَ يا كلّ أسمائي، وكُلّ روحي، وكُلّ كُلّي...".

(٤)

أَلقيتُ عصايَ

حينما تهتُ في اليوم الّذي ذهبتُ فيه لاستلام إصداراتي، سألتُ نفسي سؤالاً لم أسأله من قبل، وقلتُ لها بلسانِ كلّ الكُتّاب: هل الكتابة تؤذي؟ من المؤكّد أنّكَ يا وليّ عهد النّون سمعتَ الكثير عن مزاياها، لكنّك لم تتوقّف ولو للحظة واحدة لتسأل نفسكَ عن مساوئها. هل من الممكن أن يُدمّركَ فعلُ الكتابة دون أن تشعر بذلك، أو دون أن تستوعب أنّ الكتابة هي السّبب حقّاً وحقيقةً؟ الكلّ يمتَدحُها، والكلّ أصبح يتمنّى لو وُلدَ كاتباً، لكن تمهّل يا عزيزي، وابتعد الآن عن الحاسوب واذهب إلى أقرب مرآةٍ في بيتكَ واسأل نفسكَ: ما الّذي تُحدثهُ وتغيّره الكتابة في يومكَ: ممّن تأخذُكَ؟ وإلى أين تذهبُ بكَ؟ هل يأتي عليك وقت تنهض فيه من الفراش وتذهب إلى الكتابة قبل أن تتناول وجبة إفطاركَ مثلاً؟ هل تُبعدُكَ عن النّاس؟ هل تسرقُكَ منكَ؟ من هي هذه الكتابة إذن ومن تكون لتفعلَ بكَ كلّ هذا؟ إذا كنتَ لا تأكلُ في أوقاتكَ لأنّكَ تكتُبُ، أو لا تنامُ ما يكفيك من السّاعات لأنّك تكتُبُ، ولا تخرجُ للتنزّهُ مع الأصدقاء والأهل لأنّك تكتُبُ، ولا تُحبُّ النّساء وقد لا تتزوّجُ أيضاً لأنّكَ تكتُبُ، فاعلم أنّ هذه الكتابة بهذه الطّريقة وهذا الشّكلِ، تؤذيكَ، واعلم أنّها مرض روحيّ بكلّ ما في الكلمة من معنى. لماذا أقول عنها هكذا؟ لأنّها ليستِ الكتابةُ من تؤذيكَ حقيقة وبشكل مباشر، وإنّما

قرينُ الكتابة، أيْ تلك الرّوح الّتي تستولي على فكركَ وتُعشّشُ في كلّ مكانٍ من عقلكَ، وتُغرقُكَ بالأفكار الّتي لا أوّل لها ولا آخر، وتوهمُكَ بأنّ الحياةَ في الكتابة هي الأسمى والأرقى والأفضل، ولا تتركُ لكَ مجالاً لتستوعب فيه أنّك أصبحتَ عبداً أسيراً لا حول لك ولا قوّة. إنّها مُخَدِّر فتّاك، خبير بكلّ ألاعيب الحرف والأبجديات وعلومها. قرينُ الكتابة هذا شديد الخُبثِ والذّكاء، يوهمُكَ بالحبّ فتكتبُ عنه دون أن تعيشه، ويوهمُكَ بالقداسة فتكتُبُ عنها دون أن تعرفها حقيقةً، ويوهمُكَ بالسّعادة فتكتب عنها دون أن تتذوّق طعمها، ويوهمُكَ بكلّ ما هو نور وبهاء، فتكتُبُ عن الملكوت الأعلى دون أن تدخله، وحينما يقضي منكَ وطره ويمتصُّ رحيق كلّ طاقتك النّجميّة، يسقُطُ بكَ فجأةً إلى العوالم السّفليّة ويتركَكَ فريسة الضّياع والنّدم والألم. الكتابة الّتي لا تُشفيكَ اتركْها، والكتابة التي تجعلُكَ تحوّل غرفتكَ إلى محرقة تشعل فيها السيجارة تلو الأخرى غادرْها، والكتابة التي لا تُحييك اهجرها، والكتابة التي لا تُحبُّكَ وتبنيكَ وتسقيكَ رحيق المعنى اغلقْ في وجهها الباب. كُثر هُم الكتّاب الّذين يواسون أنفسهم ويقولون إنّهم على الأقلّ تركوا شيئاً يُبنى به فكر الإنسانيّة، ولهؤلاء أقول: هذه كلّها أوهام، الفكرُ الّذي لا يبنيكَ قبل الآخرين فلا خير فيه، والحرف الّذي لا يفتحُ عين بصيرتكَ

أنت قبل أيّ شخص آخر فهجرانه أرحمُ من الاقتران به. ماذا ستفعلُ بالحرف الّذي لا يتركُكَ تنام مثلاً؟ إنّه يؤرّقُكَ، وعليكَ أن تكون أنتَ من تحكمه لا هو، وأنت من يروّضه لا هو. الحرفُ الّذي يناجي، هو حديث نفس لا أقلّ ولا أكثر، وفي محاريب أهل الله على النّفس أن تسكتَ لتنطقَ الرّوح. حديث الرّوح هو الّذي يبني، حديثُ الرّوح هو الّذي يشفي، وحديث القلب سكينة فيها الرّؤية مرادفة للكلام. أن تكتُبَ يعني أن تحيا، يعني أن ترى، ولكي ترى على النّفس أن تغادر السّاحة، وعلى القرين الكاتب فيكَ أن يتطهّر بماء الرّوح والنّور ليُصبح له أوقاتٌ يُشير فيها عليك بالكتابة كأنها أوقات صلاة أو عبادة.

احذر الكتابة الّتي تؤذي يا هذا، انظر من حولك، وانظر إلى وجوه العديد من الكُتّاب وعيونهم، وانظر إلى أجسادهم، إنها أخشاب تحترقُ، والقرينُ الكاتبُ فيهم يهبطُ بهم إلى الدّرك الأسفل من الجحيم. احذر الكتابة التي تؤذي، واغمض عينكَ لتكتب ما ترى بداخلك، ودع نفسكَ تصمت، وارخِ شفتيكَ وأنت تكتب، واترك روحك تحلّق بكَ في الأعالي، واختر لكَ أوقاتاً يصبحُ فيها قرين الكتابة مؤذّناً يناديكَ للكتابة والصّلاة. واعلم أنّ الكتابة الّتي لا تتحدّثُ فيها بِاسم الله لا خير فيها، فكلّ من يتحرّك ويسكن ويمسي ويصبح بهذا الإسم كمن انخرط في

الجندية يتصرف بِاسم الدّولة الكونيّة ولا يهابُ أحداً لأنه يتكلّم بِاسم القانون وبِاسم الكون وحاكمه، فيُنجزُ الأعمال ويثبتُ أمام كلّ شيء ليُصبِحَ شجرة تُدخل يديها إلى خزينة الرّحمة الإلهيّة فتُخرجُ ثمارَها وتطرحها بِاسمِ الحنّان المنّان، فالبسملة ذِكر والحمد على نعمة الحرفِ شُكر، وما بين الذّكر والشّكر تدبّرٌ منكَ يا ولي العهد وفِكر. واعلم، أنّ النّون الّتي لا تتقعّرُ لتغمسَ في حبرها ريشتكَ، لا صِدْقَ فيها، لأنّ النّون الحقّة هي تلكَ التي تتفجّرُ في قعرها الأسئلة الكُبرى، وإذا لم تسمعها تحاوركَ وتستفزُّ قلمكَ، فاعلمْ أنّك لا تُخاطبُ النّون المغربيّة وإنّما حرفاً آخر لا يعرفهُ أهل الله من الكُتّاب والأدباء.

أنصتِ الآن إلى ما تتلفّظُ به النّون يا صاحب النّقطة والنّجمة فوق الجبين، إنها تسألكَ وتقولُ لتدلّكَ على قرناء الكتابة: هل خرجَتَ حقّاً إلى حيّزِ الوجود أيّها الكاتبُ، أمْ أنّكَ مازلتَ تنتظرُ مثلي ولادتكَ؟ إذا كان الأمرُ كذلكَ، فمن عساهُ يكونُ هذا الّذي نراهُ بيْنَنا وفينا ومِنّا ويُطلِقُ عليه الجميعُ اسمَ "الإنسان"؟ وهل ما يقترفُه مِن أفعال تتذبذبُ بين الخير والشرّ هي الصّورةُ المُثلى لما يجبُ أن يكونَ عليه النّاسُ ليتحدّدَ مقامُ كلّ فردٍ في الكونِ وموقفهُ من الحياة؟ ألَمْ يساوركَ الشكُّ في أنّكَ لمْ تأتِ بعدُ إلى زمانكَ ومكانِكَ الآنِيَيْن أيّها "الإنسان"، وأنّ ما تعيشُه قَدْ يكونُ

مُجرّدَ حُلم أو مسرحيّة تحوي أدواراً تُلْعَبُ وأنتَ لا ناقة لكَ فيها ولا جمل لدرجة أنّكَ تبدو كالنّائم أو المُغَيَّبِ عن الوجودِ بأسره؟ قُل لي من أنتَ إذن؟ هل أنتَ إنسان أم مشروع إنسان؟ هل سمعتَ بسؤال الحقّ بشأنكَ وهو يقول: هل أتى على الإنسانِ حينٌ من الدّهر لم يكن شيئًا مذكورًا؟ هذا هو الدّهرُ الّذي أنتَ فيه إذن، بل هذا هُو الحينُ منه، وأنا أسألُكَ وفي الوقت ذاته أجيبُكَ وأقولُ إنّكَ مازلتَ ذاكَ الشّيء غير المذكور أبداً! بل إنّكَ مازلتَ تلكَ النّطفة الأمشاج، ومازلتُ أنتظرُ أن تُصبحَ ذات يومٍ سميعاً بصيراً .

تذكّرتُ السيّدَ المنقذَ الآن، صاحبَ الكلب الإيطاليّ الشّرس، ومحوتُ كلّ صورة كنتُ أرتعدُ فيها خوفاً من ضياعٍ محتم، وها قد مرّت شهور على تلك الحادثة واكتشفتُ اليومَ أنّ من تبحثُ عنهُ يبحثُ عنكَ، وأنّني حينما تهتُ، إنّما لم يكن ذاك الأمر ضياعاً أو تيهاً بمعناه الظّاهريّ، وإنّما كنتُ أبحثُ عمّن كان يبحثُ عنّي، وحينما وجدتُهُ وجدَني، وكما كنتُ في أمسِّ الحاجة إلى خدمته الجليلة، كان هو أيضاً بحاجة لي، وزوجي وحده من أدار المفتاح وفتح باب التيه حينما نزلنا في المحطّة ماقبل الأخيرة، ليحصل بيننا وبين سلفاتوره اللّقاء. لقد شكا المسكين حينما رآنا، وسمعتُ شكواه، قال إنّه سجين الجنّ، وإنّه مصاب

بأحد عشر نوعًا من السّرطانات آخرها كان في فمه، ولا أعرف كيف تذكّرتُ يوسف وإخوته وكواكبه الأحد عشر، يا إلهي أيّة رموز وإشارات هذه؟ يقشعرُّ جسدي، ويقف شعر رأسي! الآن فقط أدركتُ أنّ سالفاتوره كان يخاطبني كما يخاطب المريضُ طبيبهُ. آآآه يا إلهي لماذا هذا الشرّ؟ لماذا المرضُ، بل لماذا هذه العلاقة المتذبذبة والمشبوهة بين الجنّ والإنس؟ من يكون الجنّ، ولماذا سجنوا سالفاتوره؟ وأنا إذا أردتُ أن أطبّه عليّ أن أجدهُ من جديد، وأنّى لي ذلك وأنا لا أعرف كيف أصلُ إلى ذاك المكان الّذي لا تحدّده خريطة ولا ترصده بوصلة!

إنّه أمرٌ محيّر فعلاً يا وليّ العهد، ويحتاج إلى درجة كبيرة من النّضج الكافي حتّى أستطيع أن أقول لكَ بأنّ الشرَّ جزء من الخير، وأنّ الخيرَ الّذي يُحاربُ الشرَّ هو خير محدود، أمّا الخير الّذي يُحَوّلُ الشرَّ إلى نعمة فهو خير مطلق. والأرضُ هي المكانُ الوحيد الّذي يمكنُ أن يتحقّقَ فيه هذا التحوّل المهيب، وهذا ما يُفَسِّرُ كيف أنّكَ مثل غيركَ اخترت أن توجد الآن فيها رغماً عن أنف مَن يُريدُ لليومِ أن يعودَ بالنّاس جميعاً إلى القَمر أو إلى الشّمس، ويفعل المستحيل من أجل أن يتحقّقَ له هذا الهدف دون أنْ يعلمَ أنّ كلّ إنسان حقٍّ يملكُ ذرّة من الوعي والإدراك إنّما يحرصُ حرصاً شديداً على أنّهُ إذا كان لابدّ لهُ من

الخروج فلكَيْ يصعدَ –على الأقلّ في بدايات العروج– إلى الزُّهرة ثمّ إلى المشتري ولن يرضى بدونهما بديلاً. إبراهيم النّبيّ فعلَ هذا ورفض رفضاً قاطعاً الاكتفاءَ بالقمر والشّمس، وقبل أن يغادرَ الأرضَ قال إنّه لا يُحبُّ الآفلين، وشمّرَ عن ساعد الجدّ ووجّهَ وجهَهُ إلى السّاطع الحيّ الّذي لا يأفل ولا يموت.

وفي الأرض، أرض البدن يوجدُ "إبليس" أو حركة الزّمكان المُتَلَوْلِبَة، والّتي بها يَتَحَقّقُ تَصَدّعُ سلسلة الوحدة الجامعة والمُجَسِّدة للخَيْر المُطلق، ثمّ ظهورُ مبدأ التّضادّ بين كل الكينونات والّذي يليه تكوُّن القطبيّة الضروريّة لحدوث التطوّر المعراجيّ لدى كلّ كائن حيّ. وهذا التضادُّ والاختلافُ الحاصليْن بين الكائنات هما في الحقيقة سرّ من الأسرار الكبرى التي بها أُعْلِنَتْ بداية زمنِ خلق الإنسان، أو زمنُ النّطفة الأمشاج الّذي أنتَ فيه الآن، وكلاهما ضرورة كينونيّة على قدرٍ عالٍ من الأهميّة وفي غيابهما لا يُمكن أن تتأسّس "فردانيّة" الإنسان في الكون، والتي بها يظهرُ ما اصطُلِحَ على تسميّته بـ"الشّرّ". لكن هناك سؤال لا بدّ من طرحه اللّحظة: لماذا الفردانيّة تقتضي الاختلافَ والتضادَّ وظهور الشرّ؟ الجواب بسيطٌ للغاية، فالوصول إلى مرتبةِ الحُبّ المطلق والانسجام الكامل في الكون ليس بشيء يوهبُ هكذا بدون أدنى جُهد

يُذْكر، وإنّما هو جزاء يُكتسبُ بعناء كبير ومشقّة عظيمة، وبه يتحقّقُ العِتقُ الأكبر والحريّة المُطلقة. وظهور الشرّ لا يكمُن في التّناقض والتضادّ والاختلاف بين الكائنات في حدّ ذاته، وإنّما الاختلافُ يُصبحُ شرّاً حينما يتمُّ الاعتراضُ على تحويله إلى خيرٍ، وعليه فإنّ اختلافَ الإنسان مع أخيه الإنسان ومواجهته له وتناقضه وتحاربه معه ليس شرّاً وإنّما هو دور ومهمّة تطوّريّة نحو العتق والتحرّر. وهي المهمّة التي تتطلّب في مرحلة أولى أن يُنظرَ لها من باب أنّ "الإنسانَ" مادام في بدايات الطّريق فهو لا شكّ سيكون في حالة حرب وندّية وتشنّج مع أخيه "الإنسان"، وهذا مرتبط بما يسمّى بصراع الأنا الذي هو أولى مراحل العروج والخروج من الظّلمات إلى النّور. وحتّى في هذه المحطّة لا يمكنكَ الحديثُ عن ظهور الشرّ من النّاحيّة الأخلاقيّة، لأنّ الشرّ الحقّ يتجسّد عندئذٍ في الاكتفاء بالوقوف عندَ هذه المرحلة التي لا تتحقّق فيها سوى ذاتية وفرديّة الإنسان.

لكن كيف يحدثُ التحرّر والعتق، وهل الإنسان قادر على تحقيق هذا المسار لوحده؟ طبعاً لا، هناك ما أسمّيه بـ "القوى الكونيّة الكبرى" أو ما يطلقُ عليها أهلُ الظّاهر بـ "الملائكة"، وهي المسؤولة عن مساندة ومؤازرَة الإنسان في محنة الخروج من

مرحلة الفردانية الذاتيّة إلى مرحلة الانسجام والذوبان في الآخر. لكن قبل ذلك لا بدّ من السّقوط المرتبط بالابتعاد عن الجماعة الإنسانيّة والانفصال عن المادّة لكي يصبح كل إنسانٍ قادراً على أنْ يقولَ: "أنا" وهي الأنا التي تعني القدرة على تحمّل المسؤوليّة الأخلاقيّة للانوجاد على سطح هذا الكوكب، وأعني هنا بالمسؤوليّة الأخلاقيّة الحريّة الكاملة في ارتكاب الشرّ أو صُنع الخير، كما فعل الخِضر مع موسى حينما كان يحاولُ تلقينَه درس تحويل الشرّ إلى خير مطلقٍ.

أعلمُ أنّه بحديثي عن عمل الملائكة ومؤازرتهم للإنسان وأخصّ بالذّكر منهم الرّؤساء كجبريل وميكال وإسرافيل، سوف تسألني عن طبيعة عمل الشّياطين في المقابل وهل هُم من الجنّ في شيء ومن يكونون حقيقة؟ الجواب يكمن في قوله عزّ وجلّ: ((وما خلقتُ الجنّ والإنس إلّا ليعبدونِ)). أنتَ الجِنُّ والإنسُ أيّها الإنسان. أنتَ الباطنُ والظّاهر، أنت الرّوح والجسد، أنت السّرُّ والفضيحة، فلا تبحث عن الجنّ في مكان آخر، ولا عن الصالحين منهم والشّياطين في مكان غير جسدك بكلّ أقسامه الأثيريّة والنجميّة، والترابيّة والمائيّة، والهوائيّة والنّاريّة. كيف يستقيم هذا الكلام؟ كيف تكون الجنّيَّ والإنسيَّ في آنٍ واحد؟ إذا كنتَ حريصاً على تلقّي الجواب فدعنا نلتقِ في يوم الزّينة هناك

حيثُ سأُلْقِي عصاي، وأريدكَ أن تأتيني بتاج النّون فوق رأسكَ، ومحابس الكتابة الأولى في سبابتك وإبهامكَ، وأسفار جَدَّيْكَ إدريس وهرمس بين ذراعيكَ.

(٥)

يوم الزّينة

الكون في: ٠١ تمّوز ٢٠٢١

السيّدُ وليّ عهد النّون	**السيّدة د. ريتاج الأسيليّ**
شارع النّقطة الأربعين	**حيّ الغصن الذّهبيّ**
مركز الحرف	**ولاية بانارموس**
دولة الأبجديّة	**إيطاليا**

الموضوع: رسالة شكر وامتنان

سيّدتي وريثة السّرّ الأكبر، يا من أطلقتِ عليّ لقبَ وليّ عهد النّون، وحدّدتِ لي شارع النّقطة الأربعين لأسكنه، ودولة الأبجديّة لأقيم فيها! لقد اطّلعتُ بكلّ شغف واهتمام على ما رويتهِ لي في رسائلكِ من أحداثٍ عجيبة عن حكاية التّيه والسيّد سالفاتوره وكلبه الأمين، وإنّني لسعيد للغاية بما أشرق في فكركِ السّامي من اهتمام بحاله، وعزمك بالتّالي على خوض رحلة الشّفاء لتخلّصيه ممّا هو فيه من أسْر. وإنّني كلّي شوق لأعرفَ كيف سيتمّ سفرُكِ هذا، لا سيما وأنّكِ قلتِ لي إنّه سيكونُ سفراً عبر المملكة الدّاخليّة للإنسان، لكن قبل ذلكَ اسمحي لي أن أعبّر لك عمّا يجيش في خاطري وفكري من أسئلة كثيرة عن

هذا النّوع من الأسفار في عوالم الجنّ وشرورهم وعن هذه العلاقة المريبة التي تجمعهم ببني الإنسان، وعلاقة كلّ هذا بعالم السّحر والشّعوذة، وكيف في الختام اخترتني أنا الكاتبُ المبتدئُ لأكون رفيقكِ في هذه الرّحلة العجيبة وكأنّكِ تخطّطين لأمر ما تجدين فيه علاقة كبيرة بين كلّ هذا وعالم الكتابة والحرف والتّأليف.

في انتظار إجاباتكِ، تقبّلي سيّدتي وريثة السرّ الأكبر، أسمى آيات التقدير والاحترام.

وليّ عهد النّون

يـا ولـيّ العهـد، اثبـت الآن ولا ترتبـكْ، واعلـم أنّـهُ لـيس أمامكَ اللّحظة سوى أن تفصل رأسكَ عن جسدِكَ وتهزّهُ كالحذاء وتنفضـه من كلّ ما علق بـه من تراب الأفكار الّتي أكل عليها الدّهرُ وشرب، وقبل أن أذهبَ إلى تحرير سالفاتوره دعني أريكَ أوّلاً كيف تعتقُ نفسكَ بنفسكَ قبل أيّ شخصٍ آخر. هيّا اربط الحزام واستعدّ للهبوط إلى أرض مصر، أرض البدن الإنسانيّ، ولتعلم أنّني لستُ من أهل الأوفاق، ولا الجداول ولا الطّلاسم، ولا أفتح مندلاً، ولا أحيي ليالي الزّار ولا السّماع، ولا شيء سأطلبه منكَ سوى أن تهدأ وتسكن حتّى ترى العجب العجاب حاضراً في نفسكَ وإلّمْ يعلّمكَ إيّاهُ أحدٌ! نعم، وحدها نفسُكَ حينما ستعلمُ برحلتكَ الجديدة هذه معي، ستجمعُ قواها وتفتحُ لكَ كلّ كُتب الدّجل والشّعوذة لتُبرّرَ لكَ وجهة نَظَرها وتُشكّكَ فيما أدعوكَ إليه من عروج، وتُحاجِجَكَ في مسائل الجنّ والشّياطين، وتقول لكَ إنّ الجنّ كينونات خُلِقتْ بشكلٍ مُنْفَصِلٍ عن الإنسان، وأنّ هذا الأخير لا يُمكنهُ أن يكون هوَ نفسه الجنيَّ والإنسيّ والشيطانَ. ولتعلمْ أنّني الآن أراها وهي ترتدي الكثيرَ مِن الحروف والأرقام، وتتأهّبُ لتُحدّثنَا بكلّ اللّغات القديمة؛ الآراميّة منها والسّنسكريتيّة والهيروغليفيّة، ولتَرقصَ أمامنَا كلّ الرّقصات الوحشيّة المُمْكِنَة، ولن تكتفي بهذا، بل ستزيد وتزيد، وتُوقدُ الشّموعَ وتذبحُ الذّبائحَ

وتَحرق الأبخرة ليتعالى في الفضاء دخانُهَا، لكن لا تخفْ فأنا هُنا صاحبة أسرار، والآن حان وقتُ إيقافها وردعها عمّا هي فيه، وانظر إليها الآن: إنّها فرعونٌ كبيرٌ بتاجٍ فخم وسلطانٍ عظيم، الأفعى فوق رأسهِ والنّمر الأسود عن يمينه، والكلبُ أنوبيس عن يسارِهِ، وقد آن الأوانُ لنَدْخُلَ إلى بلاطِهِ ونمشي فوق أرضيّته الممرّدة من قوارير بكلّ هدوء وأريحيّة. آن الأوان إذن ليُعرّفَنا الفرعونُ على سَحرتِهِ ويَسمحَ لي بأن ألقيَ فوق سجّادهِ الأزرق الملكيّ عصاي، فاليوم هو يوم الزّينة وأنا قادمة إلى نفسِكَ ونفسِ كلّ إنسانٍ لأزعجَ وَكْرهَا البدنيّ وأُخْرِجَهَا منه بالحجّة والبرهان، فهل أنتَ مستعدٌّ يا وليّ العهد الآن؟! وأنتَ أيّها الفرعونُ قُلْ لسَحَرَتِكَ لطفاً أن يرموا بعصيّهم وحبالهم، أيْ بأسئلتِكَ يا وليّ العهد ولنبدأ بالسّؤال الأوّل:

– كيفَ يُمْكِنُ للـ"إنسان" أن يكون الجِنيَّ والإنسيّ في الوقت ذاته، وما دخل إبليس في اللّعبة كلّها؟

اعلم أيّها السّائلُ أنّكَ ما دمتَ في مرحلة النّطفة الأمشاج، فلا بدّ لكَ أن تكون الجنّيَّ والإنسيَّ معاً، أيْ لا بدّ أن تكون الباطن والظّاهر، والباطنُ فيك أو الجزء المُسْتَتِرُ منكَ هو مملكة الصّورة في جسدكَ النّجميّ، وهي المملكة التي تتجسّدُ فيها وباستمرار كلّ الأشكالِ بأمرٍ منَ الأرواح التي تمتلكُ مفاتيح

المعرفة التّصويريّة الضّرورية جدًّا لتقدّمكَ وتطورّك، ليس فقط في الفترة التي تكونُ فيها على سطح الأرض، وإنّما حتّى حينما سَتَنْتَقِلُ للعيش على كواكب أخرى. وتَشَكُّلُ الصّورة أو تجسُّدُها مرتبطٌ بفِكركَ، وهو ما يصِلُكَ بعالم الخَيَال والوهم. وعليه فإنّ كلّ ما في عالم الصّورة هو عَالم الجِنِّ منكَ وفيكَ. وفكرُكَ يكون إمّا حرفاً أو رقماً، وكلاهُما لحظة التّزاوجِ يُصبحان رسماً وصورةً تُنفخُ فيهما الحياةُ نفخاً، فالرّقمُ روحٌ والحرفُ جَسَدٌ، والرّسمُ ماءٌ، ولا أحد منهم يخضعُ لدين محدّد ولا لشعبٍ معيّن، وإنّما لله الواحد القهّار في كلّ تجلّياته. ولأجل هذا تجدُ العديدَ من المدارس اللّاهوتيّة القديمة حَرَّمَتْ أكلَ ما فيه روح أو خرجَ من روح. وأنتَ تعلمُ جيّداً أيّها السّائل أنّكَ إذا دخلتَ إلى عالمِ روحِكَ من باب مملكةِ الوَهْم خَلَقْتَ عالمَ الجِنّ، وإذا دخلتَ من بابٍ أكثرَ تدنّياً من الوَهم وصلتَ إلى إبليس. وكُلٌّ مُجْتَنّ يُصبحُ له تواصلٌ مع عالمه الوهميّ والخياليّ، فمتى تواصلتَ مع شكلكَ الباطنيّ بحقد وكراهيّة تلبّسَكَ إبليس واكتشفتَ الشّيطانَ الّذي هو مُرافقٌ لنفسكَ، وظهرتْ لكَ الأفعى الّتي فيكَ، وعليه أقول لكَ إنَّ أيَّ تواصُلٍ خفيّ بين نفسكَ وباطنها هو اجتِنَان، وبين نفسكَ وباطنِ باطِنِها تَشَيْطنٌ أوْ خروجٌ من الظّاهر إلى باطن الباطن، أيْ انفصالٌ عن الحقيقة ودخولٌ إلى عوالم ثالثة من طبقات

النّفس، والتي يتجلّى بها الشرّ والأذى الحقيقيّيْنِ. وبالتالي كلّما وصَلَ عقلكَ إلى مراحل معيّنة من الفكر والوعي انفتحتْ أمامكَ أبوابٌ وانغلقتْ خلفكَ أخرى، فعالمُكَ الرّوحانيّ عالم ذكيٌّ ومتطوّر جدّاً، وأولى درجاتُ الاختبار فيه النّزولُ بكَ إلى أرض التّفرعُن، حيث تأخذُكَ عينُك الدّاخليّة إلى عوالم السِّحرِ وأهراماته المفعمة بالأسرار المُحيّرة للقلوب والعقول، ولذا لابدّ لكَ في البداية من هذا الاجتنان الّذي يكونُ عبر الألوان المرتبطة بمراتب النّفس، وكلّ مرتبة تسمّى بالمحلّة، وكلّ محلّة لها لون معيّن ورنّة خاصّة. والمتّصلُ بالنّفس ليسَ كالمُتّصلِ بالرّوح، فهذا الأخير يرى بنور الله، وتُفتحُ لهُ الأبوابُ بالبذل ويدخل معارجَ السّماوات العُلا عبر الدّليل والمكاشفة، وكلّما تعمّقَ وتدرّج وصلَ إلى الحقيقة. أمّا اذا اتّصلتَ بالنّفس أو بالباطن المُجْتَنِّ منها فاذَنْ بحربٍ من شياطين جِنّكَ وأبالستهمُ الكبار، وهذا هو الأذى الأكبر الّذي تستولي فيه النّفسُ الطّاغية على جميع القوى الروحانيّة رافضةً كما ترفُضُ أنتَ الآن أيّها السّائلُ كلّ برهانٍ وتظنُّه "سِحرًا" لقصورِكَ عن إدراكه وعجزكَ عن قبوله واستسلامكَ لإغراءات القوى التخيليّة والوهميّة فيكَ. وكلّما أوردتُ عليكَ حجّتي صرختَ وقلتَ: "أجئتِ لتُخرجينا من أرضنَا بسِحرِكَ أيّتُها السُّليْمانيّةُ الموسويّة المحمّديّة؟!" وحرّضتَ وهمَكَ

وخيالكَ على التّشكيك والإنكارِ أكثر فأكثر، وقد نسيتَ أنّني ما ضربتُ لكَ الموعدَ في يومِ الزّينة إلّا لأرَتّبَ مقاماتي في وقت زينة كلّ نفسٍ سَتَطَّلعُ على تجربتكَ معي يا وليّ العهد علّها تسمعني وأنا أنطقُ بالمُدركات وتراني وأنا أحشرُ كلّ القوى العقلانيّة والروحانيّة وقت بزوغِ شمس العقل. ولتعلمْ أنّ الأذى يلحقكَ وأنتَ في مقام الاجتنان بسبب شرّ النّفس التي لا تفتأ تجمع كيدَها من كلّ أنواع المهاترات والوهميّات رافضةً طاعةَ القلب ومستسلمة لأحاديث النّجوى لثباتها في تفرعُنها وتجبُّرها وتخويفها لكلّ جسدٍ بسبب الكيد الإبليسيّ المُعيقِ لكُلّ أنواع الرّياضات الرّوحيّة. ارم الآن حبلك الثّاني فقد التهَمَ ثُعباني حبلكَ الأوّل، ولتعلم أنّي كلّي آذان صاغية.

– مازلتُ غير مقتنعٍ بما وردَ في ردّكِ وأنا أرى من حولي العالمَ ممتلئاً بمَنْ يُسَخِّرُ الجنَّ والشّياطين لإلحاق الأذى والشرّ بالإنسان في كلّ مكانٍ من الأرض بغضّ النّظر عن الدّيانات والاعتقادات على اختلاف مشاربها واتجاهاتها، فما السّببُ في ذلك يا تُرى؟

اعلم أيّها السّائل أنّه في الكون بأسره لا يوجدُ من يستطيع أن يُسَخِّرَ ولو نصف أو ثُلُثَ جنّيٍ لإلحاق الأذى بأيّ كائن كيفما كان نوعه، فكما سبقَ وقُلتُ لكَ فإنّ لكلّ إنسانٍ عَالمُ

جِنّـه الخـاصّ بـه ولا أحـد يسـتطيع اختراقـه مهمـا بلغـتْ قوّتُـه وبراعتُهُ لأنّه شأنُ الفردِ الدّاخليّ ومملكتهُ السرّيّة الّتي لا يتصرّفُ فيهـا بـالأمر والنّهـي سـوى اللهِ خالقهـا ومُـدَبّر أمورهـا، يُنـزّلُ الشّياطين فيها ويرسلها ويسلّطها كما يشاء على النّاس تؤزّهم أزّاً. واعلمْ أنّ ما أُشيع من شرّ أو أذىً يستطيعُ السّحرةُ أن يُلحقوه بالإنسان، هو في الحقيقة كذبة كُبرى يخلطُ فيها الجاهلُ بشكل سـاذجٍ بـين الجِـنّ والكينونـات الفكريّـة ذات الطّـابع والأصـل السّحريّيْن.

اعلم يـا أيّدكَ الله بنـوره ورحمتـه أنّ العقل البشـريّ يُمثّلُ جهـازاً قائماً بذاته ولهُ القدرة على خلق كينونات فكريّة تستطيعُ العملَ كآلات حقيقيّة يمكنها التّأثيرُ على الأشياء المُستهدفة بشكل قد يكون دائماً ما بقيت هذه الكينونات الفكريّة قائمة، وهذا النّوع من الخلقِ لهُ علاقة كبير بعمل السّاحر في الطّلاسم والتّعاويذ التي يقوم بإعدادها وفقاً لطقوس وترتيبات معيّنة فيحدثُ أن يختلط عليه الأمر فيعتقدُ أنّه يتخاطبُ مع الجِنّ أو يسخّرهُم لإيذاء شخص ما، في حين أنّه يتخاطب مع كينونات خلقَها هُو نفسه بقوّةِ فكره ليكلّفَها بمهمّة محدّدة. وإذا كانَ منَ المُمكِنِ أن يحدثَ هذا على المستوى الفرديّ فتخيّل معي إلى أيّ مدى ستتطوّرُ الأمور إذا تمّ استغلال هذه العمليّة وتنفيذهَا على المستوى

الجمعيّ؟! هذا ما كان يفعله بالضّبط الكهنة قديمًا لتضليل النّاس وخداعهم، إذ كانوا يقيمون طقوسًا جماعيّة لتجسيد معجزات ينسبونها إلى اللّه وهم يعلمون جيّداً أنّها قوّة وطاقات صادرتيْن من الحشود البشريّة نفسها، ولتتذكّرْ ما فعله السّامريّ مثلاً بالعجل الذّهبيّ الّذي أصبح له خوار، وما أتته تلك الطّاقة والحياة إلّا من الحشود التي كانت ترقصُ وتهيج حوله وهي ترتّل التعويذات والتّعزيمات والطّلاسم، وهو نفسه المبدأ الّذي كان يسري على عبادة الأصنام والأوثان. ولكَ أن تذهب بفكركَ إلى أبعد من هذا الحدّ، وتتدبّرَ فيما أريد أن أطلقُ عليه اسمَ "التّكنولوجيا التجاوزيّة" التي عرفَها أجدادنا القدامى أصحاب الأسرار الكبرى، ولتسأل نفسكَ مثلاً، كيف بُنِيَتِ الأهرامُ وغيرها من المآثر التاريخيّة العظمى التي مازالت تُحيّر العقولَ إلى اليوم؟ هل بناها الإنسانُ حقّاً والحال ألّا آلةَ يُمكنها أن تقوم بإعلاء صروح تلك البنايات الضّخمة مهما كانت قوّتها ودرجة تطوّرها؟ إنّها الكيانات الفكريّة الخفيّة التي كان يخلقُها كهنة المعابد ويصبغون عليها صفات معيّنة من الذّكاء والقوّة والعنفوان الخارق ثمّ يكلّفونها بالمهامّ التي يريدون إنجازها أو تحقيقها كرفع الحجارة الضّخمة وما إلى ذلك من عمليات، وهُم في هذا كانوا يخاطبونها ككائنات عاقلة لها شخصيّة مستقلّة

ويطلقون عليها أسماء معيّنة بات النّاس يعتقدون مع مرور الزّمن أنّها تعود للجنّ والعفاريت والمردة وما إليها. وهذا ما يُفسِّرُ كيفَ أنّ معظمَ الأناشيد والأدعية والتّعزيمات السّحرية تتخذ طابعَ مخاطبة كيانات عاقلة عن طريق عملية تحتاج إلى تحضير وتدريب نفسيّ من نوع خاصّ يُساهمانِ في تفعيل وتعزيز القوّة التي تتولّد في جوهر الممارس الّذي يُشترطُ فيه أن يكون على قدرٍ عالٍ من التطوّر الرّوحيّ، مع خضوعه منذ البداية إلى منهج تدريبيّ صارم لاستنهاض الصّحوة التّجاوزيّة لديه مع ما يرافقها من قدرات عقليّة استثنائيّة يحصلُ بموجبها تغيير جذريّ في أداء عقله وروحه. لكن ماذا إذا كان الممارسُ من المبتدئين أو "المُشَعوذين" المُستهترين؟ طبعاً ستقع كارثة كبرى، فأقلّ شيء يمكنكَ أنْ تتَصوّرَ حدوثه هو حالة الهلع التي قد يُصاب بها بعد أن تتجسّد له الكينونة الفكريّة في الوقت الّذي يكونُ قد انتهى من قراءة التعزيمات وإحراق البخورات، فتُصيبُهُ جلطة دماغيّة، أو يُصاب بالشّلل أو الجنون وهو يعتقد أنّ السّبب في ذلك الجنّيّ أو العفريت أو المارد دون أن يعرف أنّه هو نفسُه خالقُ تلك الكينونة التي ارتعبَ منها ولا يعرفُ كيف يتعاملُ معها ولا كيف يصرفُهَا .

وبناءً على هذا أقول لكَ يا وليّ العهد إنَّ هناك فرقاً كبيراً بين

الكينونة الفكريّة الّتي يجسّمُها الممارِسُ وبين الجنّ والملائكة الّذين ليسوا بكائنات مجنّحة تُحلّقُ في الجوّ حسب معرفة الناس السّاذجة، وإنّما هي قوى كونيّة معيّنة لا أحد يستطيع تحديد خصائصها ما لم يكن من الرّاسخين في العلم، وإذا كان لا بدّ من الحديث عن الأجنحة فقد ذُكِرت في كُتب الوحي من أجل الإشارة فقط إلى درجة قوّة الملاك ومرتبته المرتبطة رمزيّاً بعدد الأجنحة الّذي يتميّز به عن غيره من فرق الملائكة وجيوشها الأخرى. ولأنّ فكرَ الإنسان المعاصر قد تعرّض للاختراق والتّشويه على مدى العصور فهو لا يصدّق هذه الأشياء كما تفعل أنتَ اللّحظة يا وليّ عهد النّون. هيّا بنا الآن إلى سؤالك الثّالث، وليُلقه هامان كبير سحرة الفرعون فقد ابتلعتُ حبلكَ الثّاني وما كان كان.

– مادام الأمرُ كذلكَ فما الّذي يدفعُ النّاسَ إلى الإقبال لليوم على السّحرة والمشعوذين وهم يعرفون جيّداً أنّهم من الممكن جدّا أن يتعرّضوا للنّصب والاحتيال؟

كلّ النّاس ملتزمون اليوم بطرح هذا السّؤال. لا بدّ للجميع أن يعرفوا إذن من أين جاء هذا التقليد السّحري الّذي مازال منتشراً في كافّة أرجاء العالم؟ وقد آن الأوان لتعلم أيّها السّائل أنّ هذه الممارسات يعود أصلها إلى منهج طبّي كان

قائماً في العالم القديم، وأعني به المنهجَ الهرمسيّ والّذي يرى أنّ كلّ مرض يصيبُ الإنسان إنّما يحدثُ أوّلا في المستوى التّجاوزيّ من روحه وعقله، وغالبًا ما كان الكهنةُ الأطبّاء يعتقدون في الماضي السّحيق أنّ هناك قوى ماورائية هي التي تُلحِقُ الأذى بالجسد البشريّ في حين أنّ الأمر يتعلّقُ بمجرّد شحنات من الطّاقة السّلبية التي تنتشرُ في الأثير وتنتقل لتعشّش في الجسد النّجمي للإنسان فتُحدثُ خللاً في برنامجه البايومعلوماتيّ فينهارُ الجسد المادّي وتتزلزلُ فيه أرضُ مصر.

لم يكن أصحاب المنهج الهرمسيّ على خطأ، لكنّ الّذين أتوا بعدهم حرّفوا المعرفةَ البِكر واختلط الحابل بالنّابل، وأصبح النّاسُ يُعرِضون عن الأطبّاء ويذهبون إلى المُشعوذين والدّجّالين. ما الّذي حدث لكَ أيّها الإنسان؟ اسأل نفسكَ من تكون أيّها السّماءُ والطّارقُ، اسأل نفسكَ من قد تُصبحُ إذا اجتمع عقلكَ وروحكَ؟ ألستَ النّجم الثّاقب؟ ألستَ الفهمَ الحارقَ الخارق والمعرفة الكلّيّة الّتي تثقبُ ظلمات النفس، وتُغرِقُ الفرعونَ في مياه البحر المتلاطم موجه؟ قُمْ من كبوتكَ أيّها السّائل ولتعلمْ أنّ الترابَ والماء فيكَ هُما أساس جسدكَ، وأنّ الهواء أساس نفسكَ وروحكَ، أمّا النار فهي أساس الوهم والخيال عندكَ. فإذا غلبَ عليكَ التّراب كنتَ بشراً خالصاً، وإذا غلب عليك الماء كنتَ روحاً

روحانيّة، أمّا إذا غلبَ عليك الطّبع النّاري كنتَ جاناً. والإنسانُ الهوائيّ إمّا صالحٌ أو شيطان. ولتعلم أيّها السّائل أنّكَ على أربع مراتب، وأعلاها الإنسان الصّالح المتبرقع باللّثام الأخضر، وثانيهَا العابدُ صاحب اللّوح والعصا، وثالثها الجان ظاهرين غير غابرين. ومن غلبتْ عليهم الرّيح كانوا شياطين مرتبطين بالنّفس اللّوامة، وهُم شياطين الإنس حقيقة. والزّمان والمكان يتحكّمان في طبيعة الإنسان، فمن وُلد في اللّيل ليس كمن وُلد في النّهار، ومن وُلد في الجبل ليس كمن وُلد في السّهل، ومن وُلد في القرية ليس كمن وُلد في المدينة. قُمْ من كبوتكَ أيّها السّائل وضع يدكَ في يدي، ودعنا نُخْرِجِ الفرعونَ الآن من أرض مصر ونغادرْ مرحلة النُّطفة الأمشاج ليكتملَ تكوينُكَ وتُصبحَ الإنسانَ الكامل الّذي قال بشأنه الحقّ في مجلس الملائكة إنّي أعلمُ ما لا تعلمون. ارمِ الآن حبْلَكَ الرّابع ولا تقُم حتّى يلتهمهُ الثّعبانُ كاملاً.

الكون في: ١٠ تمّوز ٢٠٢١

السيّدُ وليّ عهد النّون	**السيّدة د. ريتاج الأسيليّ**
شارع النّقطة الأربعين	**حيّ الغصن الذّهبيّ**
مركز الحرف	**ولاية بانارموس**
دولة الأبجديّة	**إيطاليا**

الموضوع: سؤال جديد

لا أعلم يا سيّدتي وريثة السرّ الأكبر كيف أعبّر لكِ عن شكري وامتناني عمّا جدتِ به من المعلومات الفائقة الأهمّيّة والحيويّة، والتي لا يسعني أمام غزارتها سوى أن أقول لكِ إنّني أجد في نفسي الآن الاستعداد الكامل لخوض تجربة السّفر الدّاخليّ معكِ، والذّهاب للبحث عن السيّد سالفاتوره لتخليصه ممّا هو فيه، ولأنّني مازلتُ ألاحظُ في أعماقي نوعاً من الغضب تجاه ما يكيدهُ الجنّ لبني الإنس، فإنّي أفضّلُ أن نرفع دعوة ضدّهم لدى محكمة الجنّ العليا، علّهم ينظرون في ملفّ سالفاتوره ويخلّصونه ممّا هو فيه من ألم وعذاب، أقول محكمة الجنّ وكلّي يقين بأنّك لا شكَّ تعرفينها أو سمعت عنها من قبل، فهلّا حدّثٍّ هذا العبد الضّعيف الغرير وشرعت الأبواب

لتخرجيني ممّا أنا فيه من جهل وظلمات، وإني لكِ طبعاً من الشّاكرين على جميل صنعتكِ، وحكيم قولكِ، ووهج حرفِك.
دمتِ لي تاجاً على رأسي، ونورًا أمشي به حينما تنسدُّ الأبواب وتُظلمُ الطّرقات.

وليُّ عهد النّون

(٦)

ماذا بكَ يا هامان؟!

لستَ أنتَ من يتحدّثُ يا وليّ عهد النّون، إنّما هامان النّفسِ، المُشَعْوِذُ الماكر الفتّان، وفي سؤاله أشمُّ رائحة السُّخريّة من بني الإنسان، لكن على الرّغم من ذلك فإنّني سأحاول أن أجيبكَ عنه. اعلم يا هامان أنّ كلّ فكر يسعى إلى الاستهزاء بأفعال النّاس قبل فهم الدّوافع الكامنة خلفها هو فكر جامد متكلّس. فالباحث أو الدّارسُ الّذي يرى مثلاً في تمسّك الرّجل الفلّاح بفكرة الأسرة الكبيرة العدد تخلّفاً وجهلاً، هو باحث سطحيّ ولهذا تجدهُ يسعى جاهداً إلى أنْ يفرضَ في كتاباته نوعًا من "التّوعيّة" لإجبار "الفلّاح" على الابتعاد بشكل أو بآخر عن نمط العائلة الكثيرة الأبناء والأحفاد، دون أن يسعى إلى فهم هذه الظاهرة الاجتماعيّة قبل إصدار الحكم الأخير عليها، بلْ دون أن يستوعب كيفَ أنّ العائلة القرويّة كانتْ في الحقيقة عائلة اقتصاديّة بامتياز، وأنّه بقدر ما يكون للفلّاح أبناء كُثْرٌ بقدر ما يكون في هذا الأمر مساعدة له على المهامّ الزّراعيّة والرّعوية الكبرى! وبناء على هذا يصبح نمط العائلة المتعدّدة هو الأكثر ملاءمة للاقتصاد الزّراعيّ لأنّه وحدة يتعاون أفرادُها على إنتاج الخيرات، ورجل المدينة الباحث أو المفكّر والّذي عادة ما يعيش في نمط عائليّ مختلف ملزمٌ بأن يقومَ بمجهود فكريّ خاصّ من أجل استيعاب وفهم اختيارات الأسرة القرويّة. الشيّء نفسه عليكَ

أن تقوم به الآن ياهامان بشأن ظاهرةِ محاكم الجنّ المتواجدةِ في البعض من دول العالم بغضّ النّظر عن الدّين أو المعتقد. عليك أن تتساءل أوّلاً أين تظهر هذه المحاكم ولماذا هي بالضّبط خاصّة بالجنّ؟

اعلم يا هامان أنّ معظم هذه المحاكم يظهر في الأماكن الّتي يسود فيها النّظام الفلاحيّ، أيْ في القرى والجبال الوعرة والمناطق النّائية والبعيدة عن المدن، وهذا يعني أنّها مرتبطة بالأنشطة الفلاحيّة من زراعة وجني وحصاد وإنتاج للألبان واستخراج للزّيوت وما شابه ذلكَ، وكذا باحتفالات وأعياد القُرى من زواج وختان وعقيقة ومواسم دينية وما إليها، وهي كلّها أنشطة تقتضي نوعا خاصّاً من الممارسات الطّقوسيّة المتجلّية في ظهور الذّبائح والرّقصات والزّينة والهدايا، أمّا وأنّك تسأل عن دورِ الجنّ في كلّ هذا؟ فأقول لكَ؛ الجنُّ هو حلقة الوصل الّتي تصلُ الطّقسَ الدّينيّ بالطّقس السّياسيّ، والذّبائح المقدّمة تنتقل من الفرد إلى الجماعة السّياسيّة، أيْ من المحكوم إلى الحَاكِم، وهنا تكمن اللّعبة الحقيقيّة التي تلعبها بذكاء شديد هذه الأنواع من المحاكم. لكن دعنا نفهم أوّلاً معنى محكمة الجنّ؟

في عوالمِ الجنِّ ليستِ النّفسُ كالرّوح، فالنّفسُ هي الّتي تتزوّج أمّا الرّوحُ فلا، وهي جزء من نفخة آدم، ممّا يعني أنّ الخالقَ

سبحانه وتعالى نفخ في آدم من روحه، وكلّ النّاس جزء من نفخَتِهِ هذه. وعليه فآدم روحٌ انبثقت منها الأرواح ورُكّبتْ في الأجسامِ فتوالدت الأنفسُ. والرّوح لا يكونُ منها جزء فاسد وآخر صالح، لأجل هذا تجِدُ الطّيّبين للطيّبات والخبيثين للخبيثات، وهذا يعني أنّ الصّالح والخبيثَ لا يجتمعان في عالم الأرواح، ولكنّهما يجتمعان في عالم الأنفس، فمن الممكن أن يتزوّج الرّجل الطيّب بالمرأة الخبيثة، والمرأة الصّالحة بالرّجل الخبيث، وهذا زواج أنفس وليس زواج أرواح، ولو نظرتَ إلى عالم المشيئة لوجدتَ أنّ الأمر يفوق مستوى التّفكير والعلم، فالإنسانُ مهما كان عالماً، فإنه لا يملكُ من الحقائق الملكوتيّة إلّا ما أعطاه اللهُ في عالم يقينه. ولتعلم أيّها السّائل أن عددَ أيّام الأسبوع سبعة، وعدد آيات سورة الفاتحة سبع، وعددَ ملوك الأيام سبعة، ولكلّ يوم مَلِك علويّ وآخر سُفليّ، ولا يمكن مطلقًا أن يحكم ملِك أرضيّ في غير يومه، وكل ملك من هؤلاء الملوك الأرضيّين له اتّصال بكوكب محدّد، واتصال كذلك بالعناصر الأربعة؛ الماء والنّار والهواء والتراب. ولكل ملك اتّصال بأربع من المنازل القمريّة، فعند حلول القمر في منزلة مَلك معيّن وفي نفس يومه وساعته يكتمل المفتاح، وإذا كنتَ من أصحاب الأسرار فإنّك ترى ذلك الملكَ عيانًا بيانًا في مملكتكَ الدّاخليّة، وترى أيضاً

كيفَ تتنزَّل معه أرواح علويّة ربّانية لا يمكنها أن تتنزّل إلّا من مدارك محدّدة ولا يمكنها العودة إلّا من معارج معيّنة، فإن اكتملتِ الأسرارُ واجتمعتِ الأرواحُ ومُرج البحران رأيتَ المعارجَ وفُتحتْ لكَ الأبوابُ وظهَرَتْ لكَ في مملكتكَ الدّاخليّة الأراضي المحجوبة والدّوائر النورانيّة. والملوك العُلويّون يختلفون كثيرًا عن الملوك الأرضيّين، وكلّهم مكلّفون ولهُمْ مهمّات ربّانيّة لا علاقة لها بالدّيانات المتعارف عليها، وإنّما بالقلوب والأرواحِ النّقية. والقلبُ هو مفتاح المفاتيح والصّلاح فيه أعلى درجات التوحيد، والإيمانُ باب النّور الحقِّ فيه.

واعلم أيّها السّائل أنّ سبب وجودك في هذه الحياة أنك خليفة الله في هذه الأرض وأنّك قبلتَ التحدّي، وأرَدْتَ أن تحارب الشّيطان في عالم الأرض، فاخترت الأمانة عندما كنتَ روحًا حرّة في عالم الأزل، ونزلتَ مُحاربًا بعد أن تعلّمتَ الأسماء كلّها، وحُجِبَتْ عنك المعرفة الكلّيّة، وهذا ما يُفسّرُ كيف أنّكَ تملكُ معرفة الأسماء وليس علم الأرواح. ولأجل هذا تجدني الآن أسألكَ وأقول: من يحضُرُ في محاكم الجنّ حقيقةً، والحال أنّ الجِنّ الخالص لا يتلبّس الأجساد وإنّما هُم الشّياطين فقط من يفعلون ذلك؟ ألَمْ يخطُر ببالك أن تسألَ كيف يُمكنُ للجنّ أن يتزوّج بالإنس كما يدّعي بعضُهُم، وهم أرواح خالصة لا نفس

فيها، ويسكنون عالم الوهم والخيال من كلّ إنسان؟! فلِمَن المحكمة إذن ومعظم زوّارها نساء يشتكين اعتداء الجنيّ فلان أو علّان عليهن، وأطفال وشباب في عمر الورد يعانون من أمراض غريبة وحالات عجيبة ينسبونها جميعها إلى الشرّ والكراهية والحقد الّذي يضمره الجنّ تجاه الإنس؟! لمن الذّبائح إذن وأنت تعلم يا هامان أنّ الذّبيحة شِرْك؟ أين يذهب اللّحم؟ وأين تذهب الدّماء؟ من يقتسمُ الغنائم، ومن يحوز الشّموع والهدايا والزّيارات؟ بلْ كيف ظهرتْ أسماء ملوك الجنّ؟ ومن يكون برقان، وحمّو وميرلينو وبيو وميمون وعيشة ومليكة وغيرهم كثيرون؟ من اخترع هذه الأسماء؟ وهل يوجدون حقّاً أم أنّهم كينونات فكريّة مُجَسَّمة تناقلَها كهنة وسحرة المعابد جيلاً بعد جيل، وبنوا بها عالمًا مهولاً من الجيراركيّات التي تخدمُ أغراضًا طقوسيّة تجاريّة وسياسيّة معيّنة في العالم بأسره؟!

لا شكّ أنّ هناك خلط كبير بين عالم الجنّ الإنسانيّ الدّاخليّ، وبين الكينونات الطّقوسيّة التي تمّ خلقها عبر التّاريخ وظلّت راسخة في المخيال الشّعبيّ لدى كلّ الأمم والحضارات. وثمّة أيضاً من يقول إنّ مَراقِدَ أولياء الله وعرفائهِ الصّالحين هي الأخرى محاكم للجنّ، والحسابُ فيها يعني افتتاح جلسة المُحاكمة، وتجد النّاس فيها بيْن مَن يبكي، ومَن ينامُ ومن يدور

حول الضّريح، ومن يضربُ جدرانه ضرباً خفيفاً بكتفيه أو برأسهِ وهو يئنّ وينوح، وبين مَنْ يجلس صامتًا لا يحرّك ساكناً وبين مَن الأغلالُ في معصميه وكاحليْه، وكلّ في حال ومآل. وقضاة المَراقِدِ متعدّدون، وكلّ إنسان لهُ ترتيب في الأجاويد والملوك، والكلّ سواسية أمام القانون، ومحكمة الأبِ ليست كمحكمة الابن، وقد يكونُ في الأبِ عوارض وشياطين، ولا يمكنها أن تتآلف مع أجاويد ابنه، ويمكن للأبِ أن يُفسِدَ محكمة الابن دون وعيٍ منه بذلكَ إذا اجتمعا معاً في زيارة واحدةٍ لمَرْقَدٍ مُعيّن وفي اليوم نفسه، فلا يستفيد شيئاً من زيارتهِ للضّريح المقصود. وهناك محاكمات قد يراها الإنسان في منامه دون أن يزور أيّة محكمة، وتلكَ تكونُ الجلسَةُ فيها غيبيّة.

أيّهَا السّائلُ، كيف تريد أن تكون وليّ عهد النّون وأنت لا تعرفُ كيف تمسك اللّجام لتضبط حسابكَ وأنتَ في المحكمَة؟! فحسابُ الملوك شيء وحساب الأجاويد شيء آخر، وهذا يُنظَّم في المحاكم ولا يحتاج إلى ذبائح. ويجب عدم الخلط بين الأجاويد والعوارض. فالعارضُ قد يدفعك إلى إيذاء نفسك، وتصبح عندكَ صالةُ سينما أو مسرح تصعدُ على خشبته وتبدأ في تقديم عروضكَ وأنت منساق لا حول لك ولا قوّة، فتجذبُ برأسكَ وتتحيّر في حالكَ، وتشرب الماء السّاخن أو تذبح جسدكَ

بالسكين، أو تأكل الشّوك والزّجاج، أو تلطمُ وتصرخُ أو تشرخُ وجهكَ بالسّيوف، أو تُحْيي اللّيالي والزّارات، أو تجلسُ في النّار، وتعتقدُ أنّ ذلك كرامات وهو مرض ويجبُ علاجُه. وبعضُ الأمراض والعلل والمصائب تُورَث، فالجدّ السّاحر مثلاً يمكن أن يكون عنده الثِّقل السُّفلي، فيسلِّمُه لحفيده أو حفيدته للتخفيف عن نفسهِ دون علمٍ من الحفيدِ، وإن كان لمْ يولد بعد. وتسليمُ العهد يمشي كالنّار في الهشيم، وذلك مسموح بِهِ من طرف خُدّام العهود. والمصيبة تحدثُ إذا كان العهدُ ملعوناً، ويصبح الحفيدُ يعيش في لعنات تضرب في سبعة أجيال من الأولاد الّذين لمْ يولدوا بعد. وقد تضرب في أربعين جيلاً إذا كان المُورِثُ نبيّاً، كما حدثَ ليعقوب وذريّته. وقد يتعرّضُ الحفيد لاعتداءات من الأرواح السّفلية كما كان يحدثُ للعارف باللّه ابن عربي في بداياته، وللقدّيس الإيطاليّ الأب بيّو، ولا أحد يستطيع شفاءَ المُعتدى عليه إلّا بتسليم عهد فوق العهد الأوّل. وعادة لا تُفَكّ العهود، ويجب فتح باب لعهد علويّ نورانيّ بالعبادة والذّكر والصّلاة .

اعلم يا وليّ عهد النّون أنّ الذّبائح والمواسم التي تقام في المحاكم ليست فعلاً دينيًا فحسب، وإنّما هي فعل سياسيّ كذلك، تذكّر ما كان يفعله قدماء العرب في محافلهم الدّينية، وآلهتهم

وأوثانهم التي كانوا يبثّون فيها الحياة بثّاً، تذكّر يعوق ونسراً، تذكّرِ الشّعرى. تلك كلّها شعائر مازالت تقام لليوم وإن اختلفتِ المظاهر والأساليب، لكنّ الجوهر واحد، وفيه الشّركُ الصّريحُ باللّه، تذكّر عبدة الجنّ، بل تذكّر الرّهق الّذي كان ينال مَن يجعلُ لهذه العبادات طقوساً يختلطُ فيها الدّينيّ بالسّياسيّ !

(٧)

سالفاتوره في المحكمة

وأخيراً وجدتُكَ يا سالفاتوره، كان لا بدّ أن أدخل إلى مملكة الخيال والأوهام الكونيّة، كان لا بدّ لي أن أعبُرَ نهر الدموع، وأغوص في بحر الآهات والعذاب، لم أصعدْ فقط إلى فوق، وإنّما نزلتُ إلى الأعماق أيضاً، ودخلتُ إلى محكمة الجحيم، هناك حيث يسكن ماضي الكائنات بأسرها، وأشعلتُ الشّاشات، وبحثُّ عن الوجوه والعيون، كان الأمر صعباً للغاية، وكانت الوجوه كثيرة، أدخلتني لأكثر من مرّة في غيبوبات طويلة إلى أن رأيْتُكَ، كنتَ ضوءاً في الظّلام، ملاكاً وسطَ جبال من الشّياطين، وكان لا بدّ لي أن أرتدي خوذتي الفضيّة، وألبس ثوبي الأخضر، وأحمل سيف النّور، كان لا بدّ لي أن أذهب إلى مملكة شمهاروش، وأغمس قدميّ في الطّين الأحمر، وأنظر إلى عواصف الثّلج وهي تتشقشق في فصل الصّيف بمراكش الرّوح، كان لا بدّ أن أقترب من عين الماء العذب، والحجر المدهون بالجبس الأبيض، وأكلّم الغربان المحلّقة حول شجرة السرّ. كان لا بدّ أن أفتح حوارات الجدال والحجاج مع شمهاروش؛ ملك من ملوك الجان، وأسمعه وهو يضحك من جهل الإنسان وجريه وراء الخزعبلات والخرافات والأساطير التي لا أوّل لها ولا آخر، كان لا بدّ أن أطعن المرض وأحرقه باللّهب الأزرق البارد، يااااه كم من الأشياء رأيتُ حولكَ يا سالفاتوره؛

كلبكَ الأمين، ولوحاتُ العذراء ويسوع التي تبيعها في الأسواق الأسبوعيّة بمدينة بانارموس، ورأيتُ أيضاً لوحات القديس بيّو وأنت تأخذها هدية للكنائس التي تحبُّ، كان لا بدّ أن أجدكَ، وأبادلَ خدمتكَ الجليلة بفعل نبيل آخر كنت أعلم أنني أستطيع القيام به، وأنتَ رأيتني وعرفتني، شعركَ الأشقر حول وجهكَ كنور ملائكيّ، وزوجتُكَ إلى جانبكَ وهي تطبع قبلة العشق فوق شفتيك وقد غادرهما الدّاء. فرحتُ بذلك فرحاً عظيماً، عرفتُ إنّك شفيتَ، وإنّكَ أخيراً غادرتَ ذاك المكان الحزين. لم يكن الجنُّ من يأسرُكَ، إنما هي أفكاركَ، وآلامُكَ، وعذابات الحياة وتجاربها ومحنها هي التي تخلقُ تلك الهالة السّوداء من الطّاقة السّلبيّة حولك فيولدُ بها المرض في كامل جسدكَ، وكيف لا والأرض مريضة، والعالم أيضاً بل الكون بأسره. لم تكن وحدكَ من أصابه الدّاء الشّرس، إنّما النّاسُ جميعاً، وصقليّة وكلّ بقعة في الأرض! أنتَ كنتَ تشكو، والأرض تشكو، ونحن جميعاً نئنُّ في زمن الوباء، والآن أراكَ فرحاً ضاحكاً، جالساً في المقهى وأنتَ تتابع مباراة كرة القدم النهائية التي جمعت بين إيطاليا وإنجلترا، لقد كنتُ معكَ أيضا، أنظرُ من شاشة القلب، وأهتف مع كلّ الإيطاليّين وأشاركهم فرحة الانتصار، لقد كان في هذا الفرح إشارة، أوروبا والعالم كلّه سينهضان من كبوتهما، سيغادران

سجن الرّوح، وسنقول جميعاً ذات يوم وداعاً للوباء، وداعاً للسرطانات، وداعاً لشياطين الإنس والأفكار والأوهام، وداعا...وداعا....وداعاً.

نعم، يا وليّ عهد النّون، لقد شُفيَ سالفاتوره كما ترى، وشُفيتَ أنت أيضاً معه وكلّ إنسان تقعُ عيناه على هذه الحروف. ولأجل هذا آن لكَ أنْ تعرفَ أنّ هناك طرق عدّة لكي تختفيَ الأمراضُ، وأنا أقترحُ عليكَ واحدة لا غير، تلك الّتي تسبقُ العلوم أو تأتي بعدها، وهي طريقةُ المُقارَبةِ عن طريق الرّوح الواعية، أيْ تلكَ التي تحاذي أيّ موضوع كيفما كان نوعه من الدّاخل، فلكيْ تعرفَ قطرةَ الماء مثلاً، عليكَ أن تصبح أنتَ القطرة، تخرجُ مثلَهَا من المحيط وتصاحبُ الشّمسَ والرّيح، وتسافرُ من سماء إلى سماء لتَنْتَهيَ من جديد في المحيط الّذي منه خرجتَ. وكن على يقينٍ أنّكَ إذا فعلتَ هذا فإنّ القطرةَ ستُكلّمُكَ وتبوحُ لكَ بكلّ أسرارها، وتروي لكَ مباهجَها وآلامها، وتُعَرّفُكَ على الحياة النّابضة بداخلها، وإذا حدثَ هذا فاعلم أنّك ستُشفى وتعرفُ الكونَ، وإذا عرفتَ الكونَ عرفتَ ذاتكَ بطريقة إبداعيّة خالصة. واعلم أنّ الشّخص الّذي يعرفُ ذاتَه من الأعماقِ لا يُدْمِنُ التّنظيرَ أبداً، ولا يمنعُ ولا يُحرِّمُ، ولا يأمرُ ولا ينهرُ أحداً، وإنّما يعيش بهدوء كاملٍ وتنعّم كبير حياتَه الفريدة

في عزلة عن صخب وضجيج القطيع، بلْ حياته البديعة الخلّاقة والمفعمة بالاكتشافات والمُكاشفات والأسرار.

والآن وقد خرجتُ بكَ من أرض البدن الدّنيا بكلّ ما فيها مِنْ جنّ وشياطين فأهلاً وسهلاً بكَ في أرض مصر العليا، أرض الشّمس الرّوحيّة الكبرى الكامنة في قلبكَ الّذي بداخله تقبعُ القوى الكونيّة السّبعة المُلَقَّبة بسادةِ الزّمان والمكان. قلبكَ يا وليّ العهد هيكل سليمان العجيب، وهو عرش الله الّذي لا يظهرُ إلّا لمن انتصرَ بالحبّ على كلّ شيء عبر العودة بالأشياء إلى أصلها. قلبُكَ مقعدُ خير فالتفِتْ إليه بعين اللّطف والمحبّة، وسترى كيف ستنتصرُ بهِ على كلّ أوهامكَ وجنّكَ وشياطينكَ، وتخرجَ من جحيمكَ إلى فردوسكَ، أيْ من الفكر الأنانيّ الفرديّ إلى الفكر الجماعيّ الكلّيّ الكونيّ. هكذا فقط سترى شلّالات النّور تتدفّقُ في داخلك بأقصى ما فيها من قوّة لتغسلَ كلّ قُرنائكَ وترفعَكَ معهم جميعاً إلى سدرة المنتهى. هكذا فقط تُصبحُ غير قابل للاختراق، ولا يتلبّسكَ شيطان مارق، ولا تؤذيك عين حارقة ولا نفس حاسدة أو نفّاثة في العُقَد بسرٍّ إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان. ودعكَ ممّن يقول إنّكَ تعيشُ المرضَ أو ترتكبُ الشرَّ لأنّكَ ابن الخطيئة، وأنّكَ في الدّركِ الأسفل من الجحيم لأنّ الله غاضبٌ منكَ، في حين أنّ هذه الجحيم هي مرتعٌ لا بدّ لكلّ

إنسانٍ من التعرّفِ عليه وخوض التّجاربِ فيه، ألمْ يقُلِ الخالقُ وإن منكمْ إلّا واردُها؟ إذاً ما العيبُ في ذلكَ؟ بل ما هذا الهوسُ بالجنان والفراديس، في الوقتِ الّذي لا يمكنُ أن تكون في الفردوس ما لم تمرّ بالجحيم؟ لأجل هذا أستغربُ جدّاً فعل بعض رجال الدّين حينما قاموا بإلغاء وجود الجحيم من الكتابات المقدّسة باعتبار أنّ الله هو الحبّ المُطلق، دون أن يدركوا أنّ أولى مظاهر هذا الحبّ هو تواجد هذه الجحيم أيضاً، أو هذا المكان الرّوحيّ الدّاخليّ الّذي نزوره جميعاً في اليوم أكثر من مرّة، لكن الّذي يحدثُ هو أنّه مادامَ الكلّ يحبُّ أن يظهر بوجه القداسة، فإنّكَ تجدُ الكلّ يدّعي عدم استحقاقه ليكون في السّعير ولو للحظاتٍ قليلة من يومه. لكن دعونا نتساءل: مادُمتُم تنعمون جميعُكُم بكلّ هذه القداسة والصّلاح، فمن أينَ أتى كلّ هذا الشرّ الّذي في الكون، كلّ هذه الحروب، كلّ هذه الأوبئة، كلّ هذه الدّماء المسفوكة، كلّ هذا الطّغيان والاستكبار، أليسَ من جحيمكُم الدّاخليّة؟! أنتَ الشرُّ إذن يا وليّ عهد النّون، وأنتَ الخير إذا أردتَ ذلك. أنت الجحيم وأنتَ الفردوس، وما أفظع الغدر الّذي تعرّضتَ لهُ أيّها الإنسان سواء على المستوى الفرديّ أو الجماعيّ، من خلال تربيتكَ في بيئة اجتماعية معيّنة ترى فيها ذاتكَ وهي تُقادُ منذ الطّفولة إلى المذبح كالحمل الوديع

لتُصبحَ في النّهاية صاحب اهتمامات تنصبُّ على كلّ ماهو وهميّ، وكلّ ماهو ممنهَجٍ وموجَّه وفقاً لمصالح السّلطات الفكريّة والسياسيّة المسيطرة ممّا يشوّهُ نظرتَكَ للحياة ولنفسكَ، فتنتهي بعيش حياة هي ليست حياتُكَ الحقيقيّة دون أن تشعر أنتَ بذلكَ، لأنّ طريقة التّفكير الّتي نشأتَ عليهَا لا تساعدُ بتاتاً على إدراكِ العيوب والأخطاء المعرفيّة الفادحة، ولا حالة الجهل المركّب الّتي يعيشها الكثير من النّاس. أما على الصّعيد الجماعيّ فانظر من حولكَ واسأل نفسكَ أينَ ذهبتِ المعابد القديمة؟ ألمْ تكن مدارس العلوم العظمى، والأسرار الكُبرى؟ أينها المكتبات الأولى، أين هي أعمالُ الفلاسفة المتنوّرين والحكماء العظماء؟ لماذا تمّ حرقُ الجسد المعرفيّ القديم، لماذا نُحرَ وصُلبَ العرفاء والعلماء ورثة الأنبياء؟ أين جامعاتُنا اليوم من الفعل المعرفيّ الحقّ؟ الكلّ مازال يرتعُ تحت الأوثان الجديدة ولا يستطيع منها فكاكاً: الجهل والخرافة والخوف. جهل الحشود، وخرافات المعتقدات المزيّفة، والخوف من أذى من يدّعي المعرفة من المتنمّرين المسيطرين اليوم على كلّ المنظومات الفكريّة والإعلاميّة والسياسيّة والاقتصاديّة .

أيّها الوليّ اللّطيف انتهت الرّحلة الآن، ولتدعني أنا وريثة السرّ أسكتْ عن الكلام المباح فقد أدركني الصّباح، ولتعلمْ وقد غدوتَ

الآن في مقام شمسكَ الباطنيّة ملكاً عابداً لله الواحد الأحد القهّار، وروحاً ماسيّة مُتبتّلة جديدةً بسرِّ طه ما أنزلنا عليكَ القرآن لتشقى، أنّه لا بدّ لكَ وأنتَ المحكومُ بالجمال أن تغرقَ في بحار البهاء والجلال، بل لا بدّ لكَ أن ترى ذاك النّور الأبديّ لتُصبِحَ مثلي يكسوكَ الخجلُ والحياءُ، وتُغَلّفكَ الحيرةُ من قمّة رأسكَ إلى أخمص قدميْكَ فلا تعرفُ ما الّذي يليقُ أو لا يليقُ في حضرة الخير المُطلق. قُل لي أنتَ: هل يليقُ مثلاً أن نكتبَ عن الشّمس العظمى؟ ربّما لا يليق. وهل يليق أن نكشفَ عن الحُبّ المطلق الّذي يصهر ويذيبُ كلّ شرّ فلا يعود ثمّة شيء اسمه ألَمٌ أو مرضٌ أو عذاب أو جحيم في الكون بأسره؟ السّؤال بحدّ ذاته ربّما لا يليق. وهل يليقُ أن نكتبَ عن أسرار كشف الحُجب واندثار الظّلمات؟. آآآه من حرائقِ ما يَجوزُ وما لا يجوزُ! لقد أتتْ نيرانُ الحياءِ على كلّ شيء بداخلي وداخلكَ أيّها السّائل، حتّى بتُّ لا أعرف أطاعة أن أكتبَ أم معصية؟ ليتني خُلِقْتُ بدون حرفٍ، ليتني كنتُ نقطةً منسية. فأنا أرى الآن الشّمسَ تاجاً فوق رأسكَ ورأسي، وكلّما رأيتُ تألّمتُ. وإذا كتبتُ ما رأيتُ منها وبها تألّمتُ أيضاً، وإذا صمتتُ ازدادَ ألمي أكثر فأكثر. الْقِ بي في بئر النّسيان يا إله الحُبّ والخير، وارمِ فوقي صخرة الزّمان مختومةً بتوقيعٍ من سليمان...آآآه من الأنبياء ما

أشـجعهم، كيـف تجـرّأوا علـى الحـديث وخطّـوا الـوحيَ بـالحرف، وآآآه منّـي أنـا التـي لا أسـتطيع لليوم أن أبوح ولو بنصف حرف لأنني مازلتُ حائرة وتائهةً بيْن ما يَليقُ وما لا يليقُ...لكن دعني أقلها صـارخةً بـين يـديكَ أيّهـا المَلِـك الحورَسِـيُّ الحـديثُ الـولادة: خِط بإبَر العشق شفتيّ حتّى أكفّ عن الكتابة والكلام، فكلّ هذا لا يليق!

بانارموس في: ٠١ كانون الثاني ٢٠٢٢

السيّدة ريتاج الأَسيليّ
حيّ الغُصن الذهبيّ
ولاية بانارموس
إيطاليا

إلى السيّد ذو الفقار الأسديّ
حيّ الجمّار الماسيّ
ولاية بابل
العراق

الموضوع: وصول رواية (وريثة السرّ) إلى إيطاليا

السيّد النّاشر الفاضل الجليل ذو الفقار الأسديّ، رغم كلّ الصّعوبات، ورغم "دلتا" الفيروس الكورونيّ المتحوّر الجديد وشراسته التي لا ترحم، ورغم ما فرضه من حصار جديد على العالم، فقد وصلتْ من بابل إلى إيطاليا روايتي الجديدة (وريثة السرّ)، وإنّه لا يسعني سوى أن أشكرك جزيل الشّكر على ما بذلته من مجهود لتأتي في أبهى حلّة وأجمل إخراج وتنضيد. لقد اتّصل بي مكتب شحن البطريق اليوم، وغدا سأذهب لاستلام نُسَخي من الرّواية. وإلى أن يتمّ ذلك، تقبّلوا جميعا لدى دار العوسج الكهرمانيّ، أسمى آيات التقدير والمحبّة والاحترام.

د. ريتاج الأسيليّ

(٨)

في شركة البطريق للشّحن الدّولي

- مساء الخير، اتّصل بي موظّف من شركتكم الموقّرة وأخبرني بوصول شحنة الكتب التي كنتُ في انتظارها منذ فترة.
- رقم إيصال الشّحنة من فضلكِ، مع بطاقة الهويّة.
- تفضّل.
- نعم، إنّها هنا، وصلت البارحة. إنّها من العراق، هل أنت عراقيّة؟
- لا، لماذا السّؤال؟
- عذراً على التطفّل، فأنت زبونة مألوفة لدينا، ولأنّ معظم كتبك تأتينا من العراق ظننتُ أنّكِ عراقيّة.
- إنّني من هذا الكون الفسيح، ولقد رأيتُ النّور في المغرب.
- يا له من أمر عجيب، تتكلّمين اللغة الإيطالية بطلاقة مبهرة حتّى أنّ الإنسان يرتبكُ أمامكِ، ولا يستطيع سوى أن يجزم بأنّكِ إيطاليّة، هل تعلمين يا سيّدتي أنّني مغربيّ أيضاً؟
- يا إلهي، هل هذا صحيح؟ لكن كيف تعمل هنا؟ لغتك الإيطالية مرنة جدّاً وتتحدّث أنت أيضًا بطلاقة جميلة، من أيّة مدينة في المغرب أنتَ؟
- ولدتُ في مدينة مرّاكش من أب إيطاليّ وأمّ مغربية، وأعيش منذ العاشرة من عمري في إيطاليا، أنهيتُ دراستي هنا، وأعمل الآن بشكل مؤقّت في مكتب البطريق.

- أتعلمْ، لقد حدس زوجي أنّك من المغرب في المرّات السّابقة التي أتينا فيها لسحب شحنات الكتب القديمة، ونحن الآن لا نستغرب الأمر تماماً مادمتَ قد صرّحت به أنت شخصيّاً، لكن قل لنا، من أيّة منطقة بالضّبط في مرّاكش أنتَ؟
- من منطقة شمهاروش
- حيث توجد محكمة الجنّ؟
- ههه هههه، نعم، محكمة الجُّنُونْ، وْشْكُونْ مايْعْرْفْهَا، فيها الطّايِحْ كْثْرْ مْنْ النّايْضْ، وْكَايْجِيوْ لِيها من كلّ بلدان العالم، عجيب المغرب دْيَالْنَا، أرض الأولياء والصلحاء من الجنّ والإنس!
- سعدنا للغاية بالتّعرف عليك؛ زوجي وأنا. انتظر لحظة: خذ هذه، ربّما تجدُ فيها ما يثير بداخلكَ فضول السُّؤال والاندهاش، أرجو فقط أن تكون قد تعلّمتَ اللّغة العربيّة الفصحى لتتمكّن من قراءتها.
- طبعاً طبعاً...(وريثة السرّ)، يا له من عنوان غريبٍ، هل هذه روايتُكِ الجديدة؟
- نعم، إنها هدية بسيطة منّا إليكَ، من يدري ربّما تكون أنت واحداً من أولياء عهد النّون الموجّه لهم هذا العمل!
- إنّه شرفٌ عظيم لي، ليتكِ تكتبين عليها إهداء يبقى عندي

كذكرى طيّبة نبيلة منكما.

- بكلّ سرور. دمتَ بخير، وطابت أوقاتُك.
- تحيّاتي لكما وشكري وامتناني.

(انتهت)

المحتويات

١) سجين الجنّ ٧

٢) خلوة جديدة ٢٥

٣) صمتُ العالم قبل الخلق ٣٧

٤) ألقيتُ عصاي ٤٩

٥) يـوم الزّينـة ٦١

٦) مـاذا بكَ يا هامان؟! ٧٩

٧) سالفاتوره في المحكمة ٨٩

٨) فـي شركة البطريق للشّحن الدّولي ١٠١

المحتويات ١٠٩